رواية

كاشفة الأسرار

فوزية الشهاب
(أم قدامة)



كاشفة الأسرار

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/٦/٢٦٧٩)

٨١٣,٩
البلاونة، فوزية بخيت
كاشفة الأسرار/فوزية بخيت شهاب البلاونة._
عمان:دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٦.
(٢٠٠) ص
ر.أ: (٢٠١٦/٦/٢٦٧٩).
الواصفات: /القصص العربية // العصر الحديث/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) **978-9957-77-415-8** ISBN



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

الإهداء

أهدي هذا المؤلف إلى قائد الوطن وبانيه وراعيه "الملك عبد الله الثاني" إلى نفسه الشفافة الحنونة التي أحست بكل نفس في هذا الوطن العزيز ومنها نفس المرأة المجروحة المكلومة كالمطلقة والأرملة واهتمامه بالمرأة عامة حيث صنع منها وزيرة ونائبة ورعاها في كل المجالات وإلى روح أمي الحبيبة التي حملتني كرهاً ووضعتني كرهاً، رحمها الله وأدخلها فسيح جنانه وإلى كل أم عانت وصبرت من أجل أبنائها، وتحية إجلال وإكبار وتقدير وشكر إلى والدي الذي علمني ورعاني حيث كان أول من كسر قيود جهل المرأة متحدياً العادات والتقاليد في قريتي، فكنت أول امرأة متعلمة شقت طريق العلم لبنات جيلها.

المؤلف

الحلقة الأولى:

في يوم خريفي استيقظت السيدة أم أحمد في الصباح الباكر وتوضأت ثم صلت صلاة الفجر، ثم دخلت إلى المطبخ وحضرّت القهوة لزوجها، وكذلك حضّرت الإفطار لبناتها وأولادها، وجلست الأسرة حول طعام الإفطار، ثم شربوا الشاي وذهبوا إلى مدارسهم وركب زوجها أبو أحمد سيارته ذاهباً إلى عمله، والتفت أم أحمد بعباءتها وذهبت هي أيضاً إلى عملها، فقد كانت تدير متجراً صغيراً متواضعاً يلبي حاجات أهل قريتها.

كان المتجر قريباً للمنزل، وصلت أم أحمد فوجدت أوراق الأشجار القريبة من المتجر قد تراكمت أمام المتجر، ففتحت المتجر ثم أمسكت بالمكنسة وبدأت تنظف المتجر من الأوراق، وبعد ذلك أعدت إبريقاً من الشاي ووضعته على طاولة صغيرة وجلست أمام المتجر ترتشف الشاي وتنتظر رزقها أو إحدى جاراتها لتأتي لتسليها وتسرد عليها قصص أهل الحارة، فقد كانت أم أحمد جديدة في هذا الحي، أتت إليه منذ مدة قريبة فهي تسأل عن كل ما ترى وتتعرف على كل ما ترى.

حضرت إلى المتجر جارتها أم عصام فهي امرأة قوية لبقة عندها حب الاستطلاع، فهي تعرف قصص وحكايات أهل الحارة، وهي تسكن في هذا الحي منذ عشرات السنين، دعتها أم أحمد للجلوس فجلست وتناولت كأساً من الشاي وبدأت ترشف منه بصوت عال مسموع، وبدأت تلقي بالأسئلة على أم أحمد شمالاً ويميناً وأم أحمد تجيب على ما تريد وتترك ما لا تريد.

وبينما هما جالستان مرت أمام المتجر فتاة بيضاء، ناعمة البشرة فارعة الطول بارعة الجمال تلتف بعباءة سوداء تعلو وجهها ملامح حزن عميق وتمسك بيدها طفل عمرة ست سنوات

تقريباً، لفتت بذلك انتباه أم أحمد، فالتفتت إلى جارتها أم عصام قائلة يا أم عصام ما سبب حزن هذه الشابة الجميلة.

- أم عصام: وضعت كأس الشاي من يدها وضحكت بصوت عال وضربت يدها على ركبتها.. هذه دلال حكايتها حكاية.
- أم احمد: قصيها عليّ يا أم عصام أنني مولعة بسماع القصص.
- أم عصام: تتنهد.. يا ستي سأحكي لك قصتها من "طقطق" لسلام عليكم، يا ستي هذه الفتاة أسمها دلال، وهي تسكن قريبا من هنا. توفيت أمها وهي في الثانوية العامة وتزوج أبوها امرأة شابة سيطرت عليه بشبابها وأنوثتها، فكان يسمع كلامها ولا يرد لها طلب، بعيد عنك جعلت دلال خادمة لها، ولم تسمح لها بالدراسة فرسبت ولم تحصل على شهادة الثانوية، وبعد أن تزوج أخوها الكبير أخذها لتعيش معه بعد أن لاقت الأمرّين عند زوجة أبيها، ونتيجة رسوبها والضغوط النفسية من زوجة أبيها، أصيبت بمرض نفسي فأرسلها أخوها لطبيب نفسي، طلب منها الطبيب أن تستمر على العلاج لمدة سنتين.

وبدأت طبيعية جميلة مشرقة، فحضر ذات مرة إلى بيت أخيها رجل أسمر اللون طويل القامة ذو شارب كث جميل الهندام يرتدي بذلة وربطة عنق، فقالت بنفسها: أنه وسيم ليته يكون من نصيبي ونظر إليها نظرة فاحصة. وقال في نفسه: آه.. أنها بارعة الجمال ليتها تكون من نصيبي، ثم أنتبه لنفسه وتدارك الموقف قائلا: أنا سامر أخ سميرة زوجة أخيك محمود، فردت قائلة: أهلا وسهلا، أنا دلال أخت محمود زوج أختك، تفضل بالجلوس وقدمت له القهوة السادة وجلست على أريكة مقابلة له، فبهر بجمالها وبهرت هي بشبابه ورجولته، فعرض

عليها الزواج فوافقت دون تردد، وطلبت منه أن يخطبها من أخيها محمود فوافق، وعرض الأمر على أهله.

وافق الجميع وذهبوا لخطبة دلال من أخيها محمود، فوافق محمود وحذر أخته من أن يعرف زوجها بمرضها. وقال لها: أخفي الأمر عن زوجك كما أخفيته عن زوجتي لئلا يعيرك يوما ما بهذا المرض النفسي وخبئي العلاج وإياك أن يراه، وبقي الأمر سرا بين الفتاة وأخيها والطبيب، وعاشت دلال وسامر أسعد أيام عمرهما فكانا مولعين ببعضهما البعض، وحملت دلال المسكينة وظل أخوها يأتي لها بالدواء سرا وهي تخبئه وتشربه سراً دون علم زوجها وأهله، إلى أن حان وقت الولادة وحملها زوجها إلى مستشفى قريب فنسيت أن تحمل علاجها النفسي وتمت عملية الولادة فأنجبت مولودا ذكر أسمته عبد الله، وهذا الذي رأيتها معها قبل قليل ففرح الجميع ووزعت الحلوى.

انتهت إجازة الزوج وذهب إلى عمله في الجيش، فطلبت دلال من والدة زوجها أن تحضر لها الدواء بعد أن وصفت لها مكانه وكانت مطمئنة، لأن والدة زوجها أمية لا تستطيع القراءة ولكن العجائز لديهن خبرة وحكمة السنين فالحياة مدرسة، فعندما رأت العجوز الدواء والدة زوجها مخبئا في مكان لا يستطيع أحد أن يكشفه، شكت بالأمر وحملت العلاج وعرضت على أحد الأطباء المناوبين في المستشفى متظاهرة بحرصها على زوجة أبنها، وهل تستطيع أن تشرب الدواء في وضع نفاس؟ وهل تناوله يضر أبنها الرضيع؟. فقال الطبيب: دون انتباه لما تضمره هذه العجوز لزوجة ابنها، هذا علاج نفسي لا يؤثر على الحليب أو الولادة.

خبأت العلاج في جيبها، وقالت لزوجة ابنها: أنها نسيت أن تحضره. وعندما عاد ابنها سامر إلى البيت أعطته العلاج وقالت لقد خدعوك أهل زوجتك فزوجوك فتاة مجنونة وهي تشرب دواء المجانين أقرأ ما كتب على هذا العلاج فذهب الزوج إلى زوجته في المستشفى دون أن يظهر لها عما ينوي فعله وأخرجها من المستشفى إلى بيت أهلها فاستغربت دلال تصرفه ولكنها لم تسأله لما فعل ذلك وبقيت صامته ودخلت إلى بيت أهلها مع طفلها الجديد والفرحة لا تسعها وفي اليوم التالي عاد الزوج إلى بيت أهل زوجته ، يحمل ورقة الطلاق وقال لها أمام أخيها لن أكون مخدوعا طيلة عمري ثم ألقى بورقة الطلاق وهو يقول أنتي طالق.. طالق ..

سقطت دلال مغمى عليها وحملها أخوها إلى الطبيب وأخذت العلاج وانتظمت عليه، بينما ذهب زوجها سامر لخطبة جارته الموظفة مصطحبا أمه، فسأل والد العروس ما الأمر لقد علمت أن زوجتك ذهبت إلى المستشفى لتضع مولودا فلما تأتي لخطبة أبنتي ، فقالت أمه: وهي تمط شفتيها وتضرب كفا على كف، يريد أهلها أن يخدعونا.. أعطونا فتاة مجنونة غداً تنجب لنا مجانين ومعوقين، فلتبقى عند أخيها لا نريدها، نريد خطبة ابنتك.

تم الزواج بعد الموافقة وحملت الزوجة الموظفة، فأنجبت بنتا معوقة مجنونة تأكل من تراب الأرض وهي الآن في رعاية جدتها أم سامر، بينما تعيش دلال وأبنها في بيت جوار أخيها محمود وتتقاضى راتبا شهريا من دائرة الشؤون الاجتماعية الذي تصرف الدولة للأرامل والمطلقات والفقراء، وهي في أحسن صحة كما ترين وأبنها لا يعاني من أي مرض أو أعاقة وتبدو

عليه بوادر الذكاء، فربنا "يمهل ولا يهمل" والذي يسقي الناس من كأس يشرب فيها .

فقالت أم أحمد الله يكثر خير أبو الحسين الذي جعل المسكينات يعشن بكرامتهن، فلا يشعرن بالذل للذي يسوى أو ما يسوى، وبينما هما في ثنا وإطراء لجلالة الملك عبد الله إذ مرت امرأة من أمام المتجر، امرأة بالثلاثين من عمرها حنطية اللون ترتدي جلباباً أسوداً هادئة هدوء الأموات تسير ساهمة واجمة كأنها تحدث نفسها، ويسير معها رجل عجوز ومعها فتىً في سن المراهقة وطفلة في السابعة من عمرها، فنظرت أم أحمد إلى جارتها وقالت أظن هذه ليست مطلقة ولكن أشد بلاء من المطلقة فهي متزوجة من رجل عجوز، فضحكت أم عصام قائلة هذا العجوز هو أبوها وليس زوجها وهي مطلقة أيضاً، أم أحمد ضربت كفاً على كف.. مطلقة!.

- أم عصام: نعم.. نعم مطلقة.
- أم أحمد: وما سبب طلاقها وما قصتها ؟
- أم عصام: أن لها قصة ولكنني لا أستطيع أن أحدثك اليوم بقصتها، فقد حان وقت رجوع زوجي من العمل وأريد أن أحضر له طعام الغذاء، غداً إن شاء الله آتي إليك لأحدثك بقصتها فهي زوجة وفية لزوج جاحد.

عادت أم أحمد في صباح اليوم التالي إلى متجرها بعد ليلة قضتها في أرق وقلق وهي تفكر بتلك السيدة التي رأتها يوم أمس تمر أمام المتجر مع عجوز وفتى مراهق، وتسأل عن سبب طلاقها وكيف تعيش حياتها؟ فتحت الباب ونظفت المتجر وعلّقت بعض الأغراض أمام المتجر وأعدت أبريقا من الشاي كالمعتاد ووضعته أمامها على طاولة صغيرة أمام المتجر وبدأت تنتظر أم

عصام وهي تعد الساعات والثواني وتراها سنين لشدة شوقها لسماع قصة هذه السيدة، فجلست أم أحمد وهي تلتفت يميناً ويساراً وترتشف الشاي بعصبية علها ترى أم عصام وهي قادمة إليها والوقت يمر وأم عصام لم تأت ورفع آذان الظهر وهي لم تحضر، مما زاد في ضيق خلق أم أحمد وأغلقت أم أحمد المتجر وعادت إلى البيت وأعدت طعام الغذاء وعاد زوجها وأولادها وجلسوا إلى مائدة الغذاء وأم أحمد واجمة لم تتناول الطعام.

فلاحظ أبو أحمد زوجته واجمة لا تتناول الطعام فسألها قائلاً":

- أبو أحمد: ما بك يا أم أحمد منذ عدت إلى البيت لاحظت أنك غير طبيعية، ما الذي حصل؟ هل ضايقك أحد في المتجر.
- أم أحمد: لا.. لا لكني قلقة على أم عصام جارتنا، فقد وعدتني أن تأتي لتشرب الشاي معي في المتجر كعادتها، ولم تأت!.
- أبو أحمد: يضحك.. لقد رأيتها هي وابنها سعد وزوجها في مركز الشرطة، وكتبت لهم كفالة وأخرجتهم وأوصلتهم إلى البيت وأنا عائد من العمل.
- أم أحمد: الشرطة! من غير شر، ماذا حصل لهم؟.
- أبو أحمد: إن.. لا.. لا بسيطة، هذا ابنهم سعد تشاجر مع ابن جارهم مصطفى وشج رأسه، وأرسلوه إلى الطبيب وخاط الجرح، والطبيب بلغ الشرطة. لكن لما رأيتهم في مركز الشرطة تكفلتهم وصالحتهم وأوصلتهم إلى بيوتهم وما في شيء، وانتهت المشكلة.
- أم أحمد: الحمد لله.. يكثر خيرك ويقدرك على العمل الصالح.

وعند آذان العصر ذهبت أم أحمد وفتحت المتجر فوجدت جارتها أم عصام تنتظرها أمام المتجر وهي تبتسم لها من بعيد:

- أم عصام: لقد تأخرت عليك، أكيد عرفتي بالذي حصل معنا؟ يمكن حكى لك أبو أحمد عما حصل معنا اليوم.
- أم أحمد: نعم.. نعم لقد عرفت والحمد لله لأن المشكلة حلّت.
- أم عصام: أنا عارف أنت مستعجلة على سماع قصة المطلقة التي مرت يوم أمس من أمام المتجر.
- أم أحمد: نعم يا أختي.
- أم عصام: إنها المطلقة مريم، وهي تسكن مقابل بيت الأرملة التي كلمتك عنها يوم أمس دلال.
- أم أحمد: تسحب كرسي وتجلس أمام أم عصام.. نعم نعم لم استطع النوم ليلة أمس لشدة شوقي لمعرفة سبب الطلاق لهذه المسكينة.
- أم عصام: يا ستي سأحكي لك قصتها من "طقطق لسلام عليكم".

هذه مريم كانت صغيرة جميلة رشيقة محبوبة عند كل من يعرفها، لو عرفتها قبل الزواج! فقد كانت مرحة تنشر السعادة والفرح حولها أينما جلست وقد كانت تلبس عالموضة وتعتني بنفسها عناية فائقة، رآها زوجها (بكر) وأعجب بها وبشبابها وفرحها وتزوجها، فكانت كما توقع منها زوجة نشيطة و "معدّلة" عملها متقن تطهو له "كل طبخة وطبخة يأكل أصابعه وراها" والا الحلويات يا سلام أشهى منها ما فيه ودائماً أنيقة ومرتبة، وأنجبت له ولداً وبنتاً وبعد مرور أربعة عشرة عاماً من زواج سعيد ناجح أصيبت بمرض التهاب الكبد "الصفار" فخاف أن يصاب بالمرض عن طريق العدوى، فحملها وأرسلها مع أولاده إلى بيت أبيها العجوز الذي رأيناه معها يوم أمس.

وبعد عدة أيام أرسل لها ورقة الطلاق ولم يسأل عنها ولا عن أولاده، وذهب وخطب وتزوج وذهب في شهر عسل مع عروسه إلى الإسكندرية في مصر، هذه المدينة يقولون عنها أنها على البحر مدينة جميلة وفيها مناطق سياحية وفنادق، وهناك حصل معه حادث سيارة وقطعت ساقاه الاثنتان وأصبح مقعداً يتحرك على كرسي متحرك. فعادت زوجته الجديدة إلى بيت أهلها وعاد هو إلى بيته، وبعد فترة قصيرة خلعته زوجته الجديدة وأرسلت ورقة الطلاق ومعها قصاصة ورق كتبت عليها "لا أريد زوجاً مقعداً سامحني".

- أم أحمد: خلعته.. كيف خلعته؟.
- أم عصام: يعني طلقته.. بلغة المحاكم، **"قانون المخالعة"** يعطي للمرأة حق الطلاق، وليس حكراً على الرجل**!**.
- أم أحمد: والآن من يعتني به.
- أم عصام: تضحك.. أما قلت لك من أول القصة أن السيدة مريم حنونة وعطوفة وذات قلب كبير لا تعرف الحقد والكراهية، فعندما سمعت بما حصل له نسيت هي وأولادها ما عمله معهم وهرعوا إليه يعتنون به والأولاد يرتمون في أحضانه.
- أم أحمد: تضرب كفاً بكف بصوت عال.. يا الله إنها ليست من جنس البشر أنها ملاك.. ملاك يمشي على الأرض، لم أسمع طيلة عمري بإخلاص ووفاء وحب كهذا.. وتلتفت إلى أم عصام.. وهو ماذا فعل أمام هذا كله؟.
- أم عصام: تبتسم.. لقد خجل من فعلته، وقال لقد عاقبني الله على ما فعلته بك، وطلب منها أن ترجع هي وأولادها إلى عصمته، وطلب أيضاً أن تحضر والدها العجوز الأرمل كي

يعيش معهم في البيت حتى يتسنى لها العناية به أيضاً، فكما شاهدتها لقد حضرت هي وابنها وأخذت معها والدها العجوز يوم أمس عندما رأيناها تمر أمام المتجر.

وقفت أم عصام مودعة أم أحمد مستأذنة بالعودة إلى بيتها، إذ بامرأة في الأربعين من عمرهما سمراء البشرة هيفاء القد، تلتف بعباءة سوداء ومنديلاً أسود وبرفقتها شاب في العشرين من عمره.

- أم عصام: تبتسم ..غداً سأعود وأحكي لك قصة هذه المرأة.
- أم أحمد: ما قصتها؟ لا تقولي إن هذا الشاب زوجها!.
- أم عصام: لا.. لا يروح عقلك لبعيد، إنها مطلقة وتسكن في نفس الشارع الذي تسكنه دلال ومريم.
- أم أحمد: تنظر إلى أم عصام.. وما اسمها؟.
- أم عصام: إنها سعاد ابنة أبو سعود الخضرجي.
- أم أحمد: ما قصتها هذه أيضاً؟ وما سبب طلاقها؟ اجلسي.. اجلسي حدثيني.
- أم عصام: لا.. لا لقد تأخرت عن بيتي وأولادي وزوجي، سأعود لك غداً عندما يذهبون إلى المدرسة والعمل وأحكي لك قصتها من طقطق لسلام عليكم.

في اليوم التالي أتت أم عصام مبكرة إلى متجر أم أحمد وهي مستعدة لسرد قصة المطلقة سعاد، وجلست على كرسيها المعتاد أمام المتجر وأمامها الطاولة الصغيرة، فخرجت أم أحمد وهي تحمل إبريق الشاي والكاسات، ثم وضعته على الطاولة:

- أم أحمد: صباح الخير يا أم عصام.
- أم عصام: صباح النور يا أختي.

- أم أحمد: أراك مبكرة ونشيطة هذا اليوم.
- أم عصام: ما عندي شغل اليوم.
- أم أحمد: ها.. هات أفرغي ما بجعبتك.
- أم عصام: ترفع رأسها إلى أم أحمد.

يا ستي هذي حكايتها حكاية.. هذه سعاد كانت شابة كلها حيوية ونشاط وصادقة وصبورة، وكان زوجها يوسف يسكن جاراً لهم فهو ليس من قريتنا، إنه من قرية أخرى جاء ليعمل هنا في القطاع الزراعي وكان قبل أن يسكن جاراً لأهلها، يحب فتاة من عشيرته وقريبته، وعندما تقدم لخطبتها اعترض ابن عم لها ورفض أن تتزوج من غيره، وقال: أنا ابن عمها وأولى الناس بالزواج منها، ووافق أبوها على زواجها من ابن عمها، إن قانون هذه العشيرة أن ابن العم أحق بابنة عمه من غيره، والحب في قانونهم مفقود وليس له وجود، فعندما تزوجت حبيبته.

هاجر يوسف إلى قريتنا وتعرف على سعاد بعد أن أصبح جاراً لهم، فأصبح بينهم ود واستلطاف، فظن يوسف أنه نسي حبيبته وأنه أحب مرة أخرى، فقال: سأداوي جراحي بالتي كانت هي الداء، فخطب سعاد وقبل أهلها لما رأوه من هدوء عند يوسف ولم يطلبوا منه أسود ولا أبيض، والله لو أنه ابن عمها ما قدموا له هذه التسهيلات بهذه الطريقة، وساعدوه في شراء الأثاث وتكاليف العرس.

عاشت سعاد ويوسف مسرورين هادئين وحملت سعاد وأنجبت ولد أسمته "بشر" فكان يوسف يرجع من الحقل بلهفة وبشوق ليضم "بشر" إلى حضنه ويقبله، وعندما كان عمر "بشر" سنةُطرق باب ففتح يوسف الباب فوجد أخاه واقفاً بالباب ففرح ورحب بأخيه أحر ترحيب وطلب من أم بشر "سعاد" أن تعد لهم

طعام الغداء، وعندما خرجت أم بشر من الغرفة لإعداد الطعام. يوسف: يميل على أخيه.. ما الذي أتى بك؟ ليس من عادتك أن تأتي إلى هذه القرية أو إلى بيتي.

- أخ يوسف: "فتنة".
- يوسف: يرتعش وانتفض كالطير المذبوح.. ما بها؟ هل جرى لها مكروه؟.
- أخ يوسف: لا.. لا هدئ من روعك، يجب أن تفرح**!** لقد توفي زوجها ابن عمها الذي كان كل يوم يريها الويل والعذاب لأنها كانت تحبك، والحمد لله ما أنجبت.
- يوسف: بدهشة واستغراب، مات.. لقد رأيته قبل فترة في سوق المدينة، وهو لم يرني فقد كان بصحة وعافية.. ماذا أصابه؟
- أخ يوسف: لا.. لم يمرض، صدمته سيارة كان صاحبها مخموراً ومسرعاً.
- يوسف: يفرح كثيراً.. بعد الغداء ستذهب إلى القرية وتبلغ فتنة إني قادم.

وبعد سفر أخيه إلى القرية بفترة قصيرة استعد للرحيل إلى بلاد المحبوبة بعد أن طحن مارد الحب في أحشائه فقض مضجعه، فجهز ملابسه وكل حاجياته، وقال لزوجته: سأسافر، ربما أعود وربما لا أعود، أوصيك ببشر خيراً، وعندما أستقر سأتصل بك أو أبلغك بمكاني، وودع يوسف زوجته سعاد وابنه وغاب يوم.. أسبوع.. شهر وسعاد تنتقل من الباب إلى الشباك ترقب عودته، ولكن لا خبر.

أما يوسف فقد عاد إلى حبيبة القلب، وزوجته لا تدري أنه يغترف من نبع الحب وهي تتقلى على نار الانتظار، وبينما هي

في حيرة من أمرها وقلق شديد إذ جاء ساعي البريد يحمل إليها رسالة من زوجها ففرحت كثيرا دون أن تدري ما تخبئ لها هذه الرسالة ففتحتها بشوق ولهفة فإذا هي رسالة حقيرة مقتضبة جافة .

"لا تنتظريني لن أعود إليك فقد عادت لي حبيبتي فتنه، فقد مات زوجها عيشي حياتك كما تشائين، ثم فتحت الورقة الأخرى فإذا بها ورقة الطلاق من القاضي الشرعي"، فسقطت مغشياً عليها، لم تدر بنفسها إلا وهي في المستشفى، ودام مرضها عدة سنوات صامته واجمة لا تنطق بكلمة ولا تتكلم عما حصل لها، وبعد أن شفيت من مرضها أدركت أن طفلها هو ما بقي لها وإنها يجب أن تعمل من اجل تربيته وتعليمه.

حاول إخوتها رفع قضايا نفقة ومهر ومؤخر وخلافه إلا أنها رفضت بشدة. وقالت: لا أريد منه شيئا أريد أن أعيش لابني، فأخذت تعمل بنشاط وهمة تربي الأغنام والأبقار وتعمل في البساتين بالإضافة إلى راتب المطلقات الذي تتقاضاه من دائرة الشؤون الاجتماعية، ودخل ولدها المدرسة فكان لديها الوقت لمتابعة دروسه وتدريسه إلى أن ينجح في الثانوية العامة، فأرسلته إلى الجامعة وهو ألان يدرس في كلية الطب في الجامعة الأردنية وهو محبوب من جميع زملائه في الجامعة، فكل أسبوع زمان أراه عائداً إلى البيت ومعه مجموعه من أصدقائه في الجامعة، وهو ما شاء الله موهوب ومتفوق بدراسته، وأمه ما زالت تعمل بجد واجتهاد حتى توفر له حياة كريمة، فهي ألان بالإضافة إلى تعليمه تبني له بيتا جميلاً في القرية، فهو دائما يقول انه يحب السكن في القرية ولا يحب السكن في المدينة، لأنها زحمة وناس كثيرين وسيارات كثيرة.

يقول انه يريد أن يخدم أهل القرية وسمعت أمه تقول والله لما يتخرج من الجامعة هديته عندي سيارة آخر موديل.

- أم احمد: بالله عليك كم هي مجاهدة! والله.. والله الرجال لا يعملون الذي عملته لولدها، هذا ابنها يجب أن يحملها على رأسها.
- أم عصام: ما هو فعلاً حاطها على رأسه، لما يقوم من النوم يقبل يديها ويحضر الإفطار والقهوة لها، وكلمتها ما بتصير كلمتين وكلامها عنده أوامر.
- أم احمد: هل سألتها عن زوجها ؟ هل يرى ابنه؟ وهل سيعود؟.
- أم عصام: سألناها كثير هذا السؤال، فهي دائما تجيب بأنه سيعود، أما بالحقيقية ذهبوا إلى قريته ووجدوا انه راحل مع أهله عن القرية، ولا أحد يعرف أين رحلوا أو ما هو مصيره ومصير أهله.
- أم احمد: يا الله.. أيوجد رجال قلوبهم قاسية لهذه الدرجة؟ حتى ابنه لم يسأل عنه، وأم بشر ألم تتزوج بعد زوجها يوسف؟.
- أم عصام: لم تتزوج رغم أن كثيراً من رجال القرية خطبوها، إلا أنها رفضت رغم أنها كانت صغيرة في السن، فكان عمرها عندما طلقها بالعشرين وهي ألان بالأربعين، وعندما تسألها عنه فتقول: انه سيعود ليرى ولده.
- أم عصام: تستعد لمغادرة المتجر، إذ بثلاث فتيات يدخلن المتجر لشراء بعض حاجياتهن، فأعدت لهن أم احمد ما طلبن من المتجر وأم عصام تقف وترقب دون أن تتكلم. وبعد أن ذهبن من المتجر التفتت أم عصام إلى أم احمد قائله: هؤلاء

الفتيات الثلاث يسكن في نفس الشارع التي تسكنه دلال ومريم وسعاد، والفتاة الصغرى منهن مطلقة وأم لأربعة أطفال، وأخواتها الأكبر منها سناً لم يتزوجن إنهن عانسات، لقد فاتهن قطار الزواج، إنهن بالأربعين من العمر.

- أم أحمد: تنظر إلى أم عصام قائله باستغراب.. هي الوحيدة التي تزوجت، وهي ألان مطلقة وهي أم لأربعة أطفال!.
- أم عصام: نعم.
- أم أحمد: ما اسمها ؟ وما قصتها؟ وما سبب طلاقها؟.
- أم عصام: رويدك يا أم احمد عليّ، إنها السيدة سعدى، أما قصتها وسبب طلاقها سأرويها لك غداً "إن شاء الله" صباحاً ولن احكي قصتها إلا إذا قدمت لي كولا بدل الشاي، كل يوم شاي أريد أن أغير الطعم.
- أم احمد: تضحك.. تكرمي سأضيفك كولا بدل الشاي، عندما تحكي قصتها وسبب طلاقها فودعت أم عصام أم أحمد إلى اللقاء غدا مع قصة سعدى.

جاء اليوم التالي وأم أحمد لسماع قصة السيدة سعدى، وهي تدخل المتجر وتقف على الباب تارة أخرى، ما الذي أخر أم عصام! وبعد قليل نظرت أم احمد فإذا أم عصام مقبلة وبيدها صحن ووصلت المتجر ووضعت الصحن على الطاولة.

- أم عصام: لا تسأليني لماذا تأخرت؟ قولي بسم الله ما شاء الله ومبروك.
- أم احمد: يا ستي "بسم الله وما شاء الله وألف مبروك" ماذا حصل؟ هل خطبت إحدى بناتك؟

- أم عصام: تضحك لا ... لا، أما ترين حليب أللباء؟ لقد ولدت البقرة وقد حلبتها وأحضرت لك منه صحناً لتأخذيه إلى بيتك عندما تعودين ظهراً.
- أم احمد: شكراً.. شكراً يا أم عصام وألف مبروك مرة أخرى، ها.. ألا تريدي أن تحكي لي قصة سعدى.
- أم عصام: نعم.. نعم، سأحكي لك قصتها ولكن بعد شرب الكولا وإلا نسيتي.
- أم احمد: "ضاحكة" لا ... لا ما نسيت، وأخرجت زجاجة كولا من الثلاجة وفتحتها وقدمتها إلى أم عصام.. اشربي وغردي يا ستي.
- أم عصام: هذه الفتاة سعدى كانت شابة صغيرة، تدرس في الصف التاسع في مدرسة القرية، وترينها عندما تسير مع صاحباتها كأنها معلمة وهن طالبات، وقد كانت شامخة الطول ممتلئة الجسم تتحدث بصوت عال كي تلفت الانتباه، تعرفي سن المراهقة، فرآها شاب مشهور بقلة الحياء يعني وقح " أزعر" فاخذ يلاحقها على طريق المدرسة ويسمعها كلمات الإطراء، فبدأت بينهما قصة حب تعلق كل منها بالآخر، فتقدم لخطبتها فرفضه أهلها. إلا أنها أصرت على الزواج منه وكان لها ذلك.
- أم احمد: تلتفت إلى أم عصام.. هي عاندت أهلها وأصرّت على الزواج منه، لا بد انه جميل وكلامه جميل حتى جذبها لهذه الدرجة.
- أم عصام: "مطت شفتيها وتنهدت" جميل.. يا حسرة، والله ما أدري لماذا أعجبها؟ والله مثل القرد هو وأهله، ما فيهم واحد

خلقته تسر الخاطر.. "أستغفر الله العظيم.. أستغفر الله العظيم"، كلنا خلقتك يا الله.

- أم احمد: وهل أكملت سعدى تعليمها؟
- أم عصام: باستهزاء.. من أين يا حسرة! لقد تزوجها وأخذها لتسكن معه في المدينة، ولبسها عالموضة وصارت تمشي بالكعب العالي، وتسرح شعرها عند "الكافور".. ما أدري الكافرين.
- أم أحمد: ضحكت حتى كادت تقع على ظهرها من شدة الضحك.. "كوافير" يا أم عصام "يعني مصفف شعر السيدات".
- أم عصام: آه.. آه عليك نور مثل ما قلتي كفا.. ف.. فير، هو يعمل ويعطيها الراتب، فكانت تصرف نصف الراتب على أناقتها، فلو كنت رأيتها أيام ما كانت في المدينة لما عرفتها، كان زوجها يجعلها تقف أمامه وينظر إليها ويتمتع بمنظرها الجميل الجذاب كأنها مرآة أمامه، وأمه وأخواته القبيحات ينظرن إليه وهو يغازلها وينظر إليها بلهفة، فتبدأ نار الغيرة في قلوبهن، فكن ينظرن إلى أنفسهن في المرآة فيرين القبح وينظرن إليها فيرين الجمال، فيزددن لها كراهية وحسداً، فبدأن بتنفيذ مخططات دنيئة لتتم عملية "التطفيش".
- أم أحمد: ماذا تقصدين بعملية "التطفيش" يا أم عصام؟
- أم عصام: "يعني تترك البيت وتهرب"، فبدأن بإثارة المشاكل بينها وبين زوجها.
- أم أحمد: يعني مثل ماذا هالمشاكل التي كانوا يفتعلوها؟
- أم عصام: سأروي لك واحدة الآن منها.

"ذات يوم عاد من العمل وطلب منها أن تعد له طعام الغداء، فدخلت اثنتان من أخواته خلفها، فبدأت واحدة تكلمها وتشغلها والثانية تضع الملح بكميات كبيرة على الطعام، مما أثار مشكلة وضرب الزوج زوجته سعدى، غضبت سعدى عند أهلها ومن ثم عاد واسترجعها، ومرة أخرى قامت السيدة سعدى بتغيير ملابس طفلها وألبسته فوطة ووضعته على الفراش وهو نائم وشغلت بأعمال البيت، فدخلت إحدى أخوات الزوج ونزعت الفوطة وحملت الطفل وهو نائم ووضعته في فراش الأب فبال الطفل وهو نائم على فراش الأب، مما أثار مشكلة أيضاً في البيت فغضبت السيدة سعدى عند أهلها".

ومرة أخرى بعد أن نظفت ملابس زوجها وكوتها وعلقتها في الخزانة، جاءت إحدى أخواته ووضعت نقطاً من الزيت على ملابسه واستمرت المقالب والمشاكل، فأصبحت حياتها كلها مشاكل إلى أن جاء المخطط الدنيء الذي كان فيه قاصمة الظهر وكان الانفصال والطلاق بعد أن كان بينهم أربعة أطفال.

أم أحمد: ما هو السبب الذي أدى إلى الطلاق؟ احكي الخطة التي عملوها معها.

أم عصام: كان الفصل صيفاً والجو حاراً، وكان من عادة الزوج المسكين أن ينام في فناء البيت بعد أن يسهر مع زوجته، وذات ليلة تآمرت الأخوة ضد أخيهم المتزوج، فذهبت الأخت توغد صدر الزوجة على الزوج وتتهمه بالخيانة مع الجارة (يسرى) الأرملة، وقالت: بأنها تتسلل كل ليلة إلى فراش زوجها في فناء البيت، وإن لم تصدقي فراقبيه الليلة، فأصبحت الزوجة سعدى تغلي على نار هادئة، ولم تستطع النوم وجلست على شرفة البيت ترقب زوجها الذي ينام في الفناء والأخوة في غرفهم يراقبونها ويضحكون، فلبس أحدهم لباس امرأة يشبه

ثوب جارتهم (يسرى) ونزل متخفياً من الدرج الخلفي للبيت واندس في فراش أخيه زوج سعدى بعد أن غط في نوم عميق.

نزلت سعدى تركض كالمجنونة إلى فراش زوجها، بينما الأخ المتخفي بلباس الجارة (يسرى)، هرب إلى خلف البيت ودخل من الباب الخلفي ودخل غرفته وخلع الملابس وكأنه لم يفعل شيئاً، بل ركض إلى فناء البيت مع إخوته وأخواته إلى فراش أخيهم زوج سعدى، وسعدى تصرخ وتسب وتضرب زوجها وتنعته بالخيانة، واستيقظ الزوج مذعوراً وهو يرى الناس قد اجتمعوا حوله وزوجته هائجة تسب وتشتم وتضرب كالمجنونة، فظن نفسه في حلم، ففرك عينيه ثم فتحها فرأى أن الأمر حقيقي.

سأل الناس عن سبب تجمعهم فأجابوه أن زوجتك تتهمك بالخيانة، فصرخت الزوجة لقد رأيتها وهي تنام إلى جانبك، إنها جارتنا (يسرى)، فذهب الناس المجتمعون إلى بيت (يسرى) فوجدوا البيت مغلقاً وليس فيه أحد، فقد كانت (يسرى) مسافرة إلى بيت أخيها في القرية، فقال الزوج لزوجته: سعدى.. أنت طالق.. طالق بالثلاثة، فصحت من ذهولها فوجدت نفسها مطلقة وحملها وأرسلها إلى بيت أهلها هي وأطفالها الأربعة.

عرفت سعدى أنها كانت ضحية مؤامرة من أخواته وإخوانه، وها هي عند أهلها واشتكت على زوجها لتحصل منه على مهرها المؤجل والمعجل ونفقة الأولاد، إلا أنها لم تحصل على شيء لأنه غير موظف حكومي، فهو كلما عرفوا مكان عمله غيّره، فلم يثبت أنه عمل في مكان ما وبذلك لم تستطع الأجرة تحصيل شيئاً منه، فاضطرت للعمل في البساتين لتنفق على أولادها، وقدمت أورقها لدائرة الشؤون الاجتماعية،

فصرف لها راتب شهري كي تعيش هي وأولادها الأربعة منه، أما الزوج فقد خطبت له أمه زوجة بشعة مثل بناتها، سوداء اللون فعاشت معه دون مشاكل.

أم عصام: تنتفض واقفة.. ها، لقد تأخرت على بيتي، أريد أن أذهب لأحضر الطعام لزوجي وأولادي، غداً سأعود لأحدثك بقصة مطلقة أخرى من نساء هذا الشارع.

أم أحمد: وهل هناك مطلقات أخريات.

أم عصام: أوه.. هذا الشارع معظمهن مطلقات، حتى أن الناس سموه شارع المطلقات، ثم غادرت أم عصام المتجر إلى بيتها وأيضاً عادت أم أحمد إلى بيتها.

ذهبت أم أحمد إلى متجرها وفتحته كالعادة ونظفته، وجلست أمام المتجر تنتظر جارتها أم عصام، ولكن دون جدوى. ونظرت صوب بيت أم عصام، فشاهدت أمام البيت امرأة شابة جميلة ترتدي فستاناً أحمر اللون وحذاءاً أبيض اللون وتجلس على كرسي أمام بيت أم عصام وحولها تلعب طفلتان صغيرتان تلبسان فساتين بيضاء وتجريان حول أمهما كأنهما حمامتان صغيرتان.

فعادت أم أحمد إلى متجرها وهي تقول في نفسها: إن أم عصام لن تأتي اليوم فلديها ضيفة على ما يبدو، فجلست عل كرسي أمام التلفاز تتسلى بمشاهدة قناة المنار فرأت أم مجاهد تودع ابنها للجهاد، فكانت كلماتها مؤثرة موجعة، فأحست أم أحمد بإحساس الأم التي تودع ابنها وهي تعلم أنها تشاهده للمرة الأخيرة، فسقطت دموع أم أحمد من عينيها منهمرة كالمطر.

وبينما هي كذلك إذ دخلت جارتها.

أم عصام: بسرعة يا أم أحمد أعطني ثلاثة كيلو من الأرز، أريد أن أعمل "منسف" عندنا ضيوف، وتفضلي عندنا على الغداء.

أم أحمد: ترفع عينيها.. شكراً يا أم عصام كثّر الله خيرك.

أم عصام: وعينيها مبحلقة بأم أحمد.. ما بك يا أم أحمد؟ أبو أحمد ضربك؟ ولاّ أحد من الأولاد جرى له مكروه!.

أم أحمد: وهي تكست نفسها عن البكاء، لا والله يا أم عصام لا هذه ولا ذلك، إنما الذي يبكيني هو ما سمعته من هذه المرأة وهي تشير إلى أم المجاهد على الشاشة.

أم عصام: آه.. لقد رأيت هذا المنظر البارحة بالأخبار ولا يهمك يا أم أحمد، هذا صار شيء عادي، فنحن كل يوم نرى هذه المناظر في فلسطين والعراق، ونرى القتلى والجرحى والشيوخ والشباب والأطفال والنساء والمشردين في كل مكان، إنه الاحتلال والاستعمار والإرهاب بكل المسميات وهي كثيرة تسبب مصائب كثيرة في هذا العالم.

أم أحمد: وهي تمسح دموعها، والله إني أبكي على الشباب الذين يموتون وعلى الأمهات اللواتي يفارقن أولادهن وعلى المصائب التي يعاني منها الشعب الفلسطيني والعراق، وأبكي على الوضع المتدهور الذي وصلت إليه الأمة العربية من فرقة في الرأي وضعف في القوة، ثم مسحت دموعها وكالت لها ثلاثة كيلو أرز ووضعتها في كيس وناولته لأم عصام.. على فكرة ضيفتكم أنها جميلة.

أم عصام: ليست جميلة فقط بل متعلمة أيضاً، ولكنها للأسف لا جمالها فادها ولا علمها ولا راتبها.

أم أحمد: تتنهد وبدهشة.. ولماذا؟

أم عصام: لأنها مطلقة فقد طلقها زوجها منذ عام تقريباً.

أم أحمد: بدهشة.. مطلقة؟ حدثيني عن طلاقها.

أم عصام: آسف يا أم أحمد، ليس لدي وقت للحديث.. أريد أن أذهب وأعد طعام الغداء.

أم أحمد: ولكن عديني أن تأتي وتخبريني قصة طلاقها.

أم عصام: نعم.. نعم سأعود إن شاء الله.

وبقيت أم أحمد في المتجر وهي تحس بأن الوقت يمر بطيئاً رتيباً مملاً، وأم أحمد تفكر في قصة هذه السيدة، يا ترى ما سبب طلاقها؟ وظلت الأفكار تأخذ أم أحمد وتعيدها دون أن تستقر على رأي أو مكان، وانتهى اليوم وعادت إلى البيت وهي تنتظر الغد بفارغ الصبر.

وجاء الغد وذهبت أم أحمد مسرعة إلى متجرها لتسمع قصة هذه المطلقة الجديدة التي لم تعرف اسمها بعد، وفتحت المتجر كعادتها ونظفته وأعدت الشاي وجلست تنتظر أم عصام. وبعد قليل حضرت أم عصام.

أم عصام: تضحك.. صباح الخير، يمكن لم تنامي ليلة البارحة وأنت تفكرين بسبب طلاق هذه المرأة.

أم أحمد: نعم.. نعم إني متشوقة لمعرفة السبب، هل هو سبب عادي تقليدي؟ أم هو سبب مستحدث طرحته الحضارة علينا؟

أم عصام: بل هو غريب لم تعتد عليه قريتنا من قبل، إنه الانتخابات النيابية، فقد ترشح للانتخابات النيابية قريبها للسيدة سلوى.. أنا لم أذكر اسمها لك على ما أظن وأيضاً ترشح للانتخابات قريب زوجها السيد يوسف، فطلب زوجها أن ترشح قريبه السيد حسين وهي مصرة أن ترشح قريبها السيد سمير،

والسيد سمير والحقيقة تقال شاب متعلم ومثقف ومتكلم وجرئ يهتم بالمصالح العامة وهو كريم على مجتمعه محب للخير. أما السيد حسين قريب زوجها صحيح هو غني ومعروف، إلا أنه محباً لنفسه ولا تهمه مصلحة القرية وأهلها يحب المظاهر ودائماً نافش ريشة ومتكبر على أهل بلدته وبخيل، وحاولت السيدة سلوى إقناع زوجها بأنها تنتخب الأصلح للقرية وليست من أجل القرابة، إلا أنه قال لها أنا لا يهمني مصلحة القرية ولا غيرها، يهمني أن لا يقول الناس أن عشيرة المزاعيط انهزمت أما عشيرة المخاتير، ولازم.. لازم عشيرتنا تفوز وعشيرتكم تنهزم، فحاولت أن تهدئة، وقالت سأعمل ما تريد حفاظاً على بيتها من الانهيار والتشتت، وذهبت إلى قاعة الانتخابات وقالت في نفسها أن الانتخابات سرية وزوجي لا يعلم من سأنتخب، فأمسكت ورقة الانتخابات وكتبت اسم السيد سمير عليها ووضعتها في صندوق الاقتراع وهي تقول في نفسها لقد نفذت رأيي واخترت الأصلح، وعادت إلى البيت فرحة، وعندما وصلت إلى البيت فوجئت بزوجها يرتجف ويمسك القرآن بيده، فأصابها رعب شديد وأحست بأن زوجها ينوي لها الشر، ودون سابق إنذار ودون مقدمات قال لها: ضعي يدك على القرآن وأقسمي لي اسم من كتبتي على ورقة الانتخابات؟ فخافت سلوى وقالت وهي ترتعش: إنني انتخبت السيد سمير ولم أنتخب قريبك السيد حسين. فقال لها أنت طالق.. طالق.. طالق بالثلاث ولا تدخلي بيتي، بعد الآن ارجعي إلى بيت أهلك وسنعرف من سينجح ويفوز علينا.. أم عيلة المخاتير. فأخذت سلوى بناتها وعادت إلى بيت أهلها وها هي تعيش في بيت أهلها هي وبناتها، أما هو فقد تزوج امرأة أخرى.

أم احمد: وعند نهاية الانتخابات من الذي فاز عشيرة يوسف المزاعيط ولا عشيرة سلوى المختار.

أم عصام: تضحك.. لا هذه ولا تلك بل الذي فاز بالكرسي النيابي من عشيرة أخرى. الم تر ما اغرب السبب الذي دفع سلوى وبناتها ثمنه!.

أم احمد: نعم.. نعم انه سبب غريب ومستحدث لم نكن نعرفه في قريتنا لكن أين الديمقراطية؟ أين حقوق المرأة؟ أين الحرية؟ ولا هو فقط كلام في كلام في وسائل الإعلام فقط.

أم عصام: ليس لنا حرية إلا ما أعطانا إياه رجالنا فقط ولا ديمقراطية إلا ما تتلاءم مع مستواهم الاجتماعي أو ما يتوافق مع بروتوكولاتهم ولكن يجب علينا الصبر والاستمرار، فغداً يتعود الرجال على هذه المواقف وقد استحدث جلالة الملك عبد الله الثاني نظام الكوتة للمرأة وجعل منها نائبة ووزيرة فالأيام كفيلة بان تثبت حق المرأة مع هذه القيادة الحكيمة.

أم عصام: والله صحيح الله يحمي لنا سيدنا أبو حسين فقد جبر خواطرنا، والرجال يجب أن يشجعوا نسائهم وبناتهم على خوض المرأة للمجال السياسي وعلى التعليم والمشاركة الديمقراطية فقد قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراف

أم عصام: قامت.. يا الله بخاطرك يا أختي يا أم احمد.. إن شاء الله سأعود غداً.

أم احمد: مع السلامة.

واستمرت أم أحمد في عملها ترتب البضائع وتنظف الغبرة بينما هي كذلك دخلت امرأة من جارات المتجر تدعى فاطمة

حضرت لتشتري أرز وشاي، وبعدما وضعت أم احمد البضاعة في كيس.

فاطمة: سجلي على الدفتر ثمنهم.

أم احمد: أسجل على الدفتر لقد كثر المبلغ لقد أصبح خمسون دينار ليس من عادتك أن يصل المبلغ لهذا القدر، فبكت.. والله يا أم احمد زوجي خليل سقط عن ظهر الحصان وهو ذاهب للمزرعة وما أرسلناه للمستشفى وأحضرنا له المجبر وجبر ساقه.

أم احمد: كيف جبرها.

فاطمة: والله خلط قليل من الطحين وبيضة ولف المزيج مع القماش على ساقه وربط حولها قطع صغير من الخشب، ولكن المشكلة أنها ما جبرت وتورمت وصار لونها ازرق وعندما رآه ابن أخوه.

أم احمد: فقاطعتها.. من ابن أخوه؟ ابن أخوه علي يسكن في عمان حضر لزيارتنا، حمل زوجي وأرسله إلى مستشفى الجامعة في عمان وهناك قال الطبيب أن ساقه مصابه بالغرغرينه وقطعوها، وألان والله ما إنا عارفة ماذا اعمل كيف أدبر أمري؟ فأنت تعرفين انه لا يستطيع العمل.

أم احمد: فأشارت عليها أن تأخذ التقارير الطبية ودفتر العائلة وورقة تثبت من دائرة الأراضي تثبت بان ليس لهم ارض أو مصدر رزق، وتذهب إلى مكتب التنمية ليرسلوا باحث اجتماعي إلى بيتها ويتأكد من صحة المعلومات، ثم يصرفون لكم راتب شهري.

فاطمة: جزآك الله كل خير يا أم احمد ولكن من أين أصرف حتى تسير المعاملة ونحصل على الراتب.

أم احمد: سأساعدك وأعطيك بضاعة دين حتى تستلمي الراتب ولكن يا فاطمة ألا تعرفين مهنة أو عمل شيء.

فاطمة: بلى تعلمت من أمي عمل إطباق القش الملونة والجميلة والتطريز.

أم حمد: تضحك عال..عال اذهبي وسجلي بجمعية نهر الأردن واعملي إطباق، والجمعية تسوقها لك.

خرجت فاطمة وهي تحمل الأغراض لبيتها ووجهها ينطق بالفرح وتدعوا لام احمد بان تربح بتجارتها، وأثناء ذلك دخلت أم عصام.

أم احمد: فدهشت... ما الذي أتى بك؟ خيراً إن شاء الله عسى ما في شر!.

أم عصام: الشر بالإرهابيين وأذيالهم حتى بلدنا المسالم لم يسلم من أعمالهم الإرهابية الم تحضري الأخبار.

أم احمد: والله أولادي عندهم امتحانات وأبو احمد رفض يفتح التلفزيون حتى ما ينشغلوا عن الدراسة وأنا كنت تعبة احكي لي أين حصلت؟ ومتى؟.

أم عصام: لقد حصلت في ثلاثة فنادق في عمان هذه الليلة افتحي التلفزيون حتى نشاهد ما حصل.

أم احمد: تفتح التلفزيون.. وأخذت تلطم على وجهها، لا حول ولا قوة إلا بالله، إذ بصوت التلفون يرن، أخذت أم أحمد الهاتف النقال وضغطت الزر وهي تقول رسالة وقرأتها "شاركونا في مسيرات الغضب ضد الإرهاب ظهر اليوم في أنحاء الوطن وسيبقى الأردن قوياً" المرسل: Jordanist التاريخ ١٠/١١/٢٠٠٥م وضعت الهاتف على الطاولة وفتحت التلفاز وأخذت تشاهد نشرة الأخبار هي وأم عصام.

أم أحمد تشهق.. هذا عرس يا حرام، أنظري إلى تلك الطفلة التي تنزف دماً، وانظري إلى رضاعتها قد سقطت من فمها على الأرض وانظري إلى تلك المرأة الجريحة التي تبحث عن أسرتها وذلك الرجل الكهل الذي يبكي أسرته التي فنيت عن بكرة أبيها، يا لهم من مجرمين!.

أم عصام: تبكي.. إنه عمل إجرامي.. إجرامي نفذه رجل مجرم يرتدي حزام ناري دخل إلى القاعة وفجر نفسه.

أم أحمد: أنا لا أعرف كيف هذا يقتل نفسه ويقتل الأبرياء.

أم عصام: هذا يكون خلفه عصابة لها أهداف سياسية أو مادية يختارون الشباب صغار السن ويعملوا لهم غسيل دماغ ويوهموهم بأنهم إذا قاموا بهذه الأعمال سيذهبون إلى الجنة، وبعض المرات يهددونهم بأولادهم وبأنفسهم أو يدفعون لهم ولأسرهم مبالغ طائلة.

أم أحمد: يا ويلهم من الله، هم لا يعرفون من قتل نفساً بغير حق كأنما قتل الناس جميعاً، وأن قتل النفس من الموبيقات السبع التي لا تغتفر. وهؤلاء الناس الذين يرسلون هؤلاء الشباب الذين يفجرون أنفسهم لماذا لا يرسلون أبنائهم؟ أو يذهبون هم بأنفسهم.. والله لو أحد طلب منهم ذلك لرفضوا.

وبينما أم أحمد وأم عصام في هذا الحوار إذ بسيارات تملأ الشارع فيها رجال ونساء وأطفال يهتفون للوطن ويشجبون الإرهاب والإرهابيين المجرمين الذين قاموا بتهديد أمن الوطن. فوقفت أم أحمد وأم عصام أمام المتجر وأخذن يهتفن للوطن ثم عدن إلى التلفاز وأخذن يتابعن الأحداث.

أم أحمد: انظري نشامى الوطن أخلوا الجرحى والقتلى، تسلم سواعدهم.. وها قد أمسكوا أيضاً بامرأة في فندق آخر ترتدي حزام ناري قبل أن تفجر نفسها.. اسمها ساجدة.

أم عصام: والله نشامى الوطن ما هم مقصرين في حماية الوطن، لقد كشفوا عصابات وخلايا إرهابية كثيرة مستوردة للإرهاب قبل الحادث الإرهابي الأليم.

وبينما هما تتحدثان إذ بامرأة في الستين من عمرها ترافقها فتاة في العشرين ورجل عجوز على كرسي متحرك يدفعه رجل شاب قوي أنيق وسيم، فالتفتت أم عصام إلى أم أحمد وهي تلكزها.

أم عصام: انظري.. انظري أنت تحبين قصص المطلقات وتبحثي عن الأسباب فهذه الأسرة لها قصة.. أغلقي التلفاز حتى أحدثك قصتهم.

أم أحمد: تغلق التلفاز.. تحدثي يا أم عصام فأنا كلي آذان صاغية.

أم عصام: تعدل جلستها.. تلك السيدة الكبيرة إنها حليمة، لقد حصلت لها قصة طلاقها قبل أكثر من عشرين عاماً، ثم أرجعها زوجها إلى عصمته بعد أن ظهرت براءتها.

أم أحمد: براءتها.. بماذا كانت متهمة؟ هل هي القتل؟ أم السرقة.. أم.. أم الزنا؟

أم عصام: نعم.. نعم لقد اتهمها زوجها بالزنا.

أم أحمد: كيف ؟ ولماذا.. ؟

أم عصام: لقد كانت حليمة فتاة جميلة هادئة هدوء الأموات شامخة معتزة بنفسها ونسبها شموخ الجبال كثيرة الصمت قليلة الكلام تعرف الله وتخافه، فهي لا تقطع فرض وكان هذا الرجل

العجوز "مسعود" الذي يجلس على كرسي متنقل، شابا وسيماً ذو هيبة وكريم النفس شجاع وكان محبوباً من أهل قريته أحب حليمة وتزوجها. فكانت له خير زوجة مطيعة وخلوقة تحافظ على بيته وماله وعرضه، فكان كل يوم يمر يزداد حبا وإعجاباً، ومرت خمس سنوات ولم تنجب حليمة أولادا بمشيئة الله. كان أقرباؤه وأهله يطلبون منه الزواج وهو يرفض ويقول أأجلب لحليمة ضرة.. لا والله، حليمة لا تدعني أحتاج شيئا أنها تملأ حياتي، وفي السبعينات فتحت عيادة في القرية ذهبت حليمة إلى الطبيب ليعالجها ففحصها وقال لها أنك لا تعانين من شيء وأنك تستطيعين الإنجاب أرسلي زوجك إلى العيادة كي أفحصه وأعطى العلاج اللازم، فعادت حليمة إلى البيت فلقيها زوجها مسعود.

مسعود: قولي.. ماذا قال لك الطبيب؟ وأين العلاج الذي وصفه لكي؟.

حليمة: تنظر إليه حليمة باستحياء وهي مضطربة ولا تدري كيف توصل له ما حصل.

مسعود: لها تحدثي ما بك.

حليمة: أن الطبيب يطلب أن تزوره أنت ليصف لك العلاج.

مسعود: بحدة؟ لماذا أنا؟ ما ذنبي؟ وما دخلي؟.

حليمة: تبتسم.. يا زوجي الحبيب يا مسعود أرجوك أن لا تخجل ولا تغضب فالله خلق الداء وخلق له الدواء، عسى الطبيب يوصف لك علاجا بعدها يرزقنا الله بطفل أو طفلة يملأ حياتنا، أرجوك أذهب.

مسعود: فقبل مسعود أن يذهب إلى الطبيب وهناك فحصه ولكن للأسف أكد له الطبيب بأنه غير قادر على الإنجاب، فعاد

إلى البيت كاسف البال حزينا فلقيته حليمة وعرفت من هيئته، أن الأمور لم تكن لصالحه.

حليمة: تهون عليه الموضوع، يا مسعود أنت زوجي وحبيبي وأنني راضية بك كما أنت فهذه إرادة الله فأنا امرأة مؤمنة بقضاء الله وقدره، وأنت أيضاً يا مسعود فالله تعالى ذكر في القرآن بأنه يهب لمن شاء ذكوراً ويهب لمن يشاء إناثا ويجعل من شاء عقيماً، فعلينا القبول بقضاء الله وقدره ومرت الأيام والسنين حتى مضى على زواجهم عشرين عاماً لا يكدر صفوهم شيء، إلى أن أصبحت حليمة في الأربعين من عمرها، أحست بانقطاع الطمث عندها. فقالت: ربما قد وصلت إلى سن اليأس، وبدأ عندي انقطاع الطمث وهذا أمر طبيعي لمن هي في سني، ومرت ثلاثة شهور على هذا الحال وذات يوم أحست حليمة بدوار شديد وتقيء، فحملها زوجها بسيارته وذهب إلى الطبيب وهناك فحصها الطبيب، وكانت المفاجئة القاتلة لمسعود عندما قال الطبيب مبروك زوجتك حامل، صرخت حليمة وقد امتزجت عندها مشاعر الفرحة والخوف معاً، حامل.. حامل، كيف حصل ذلك! فقال الطبيب لا اعتراض على إرادة الله يا ست حليمة، إنها إرادة الله الذي يقول للشيء كن فيكون.

نظرت حليمة إلى وجه زوجها مسعود لترى بوادر الفرحة ولكنها رأت وجهه مكفهراً مقطب الحاجبين صامت صمت الأموات قاسياً كالصخر، أمسك بها من يدها دون أن ينطق بكلمة وفتح باب السيارة ورمى بها في السيارة وهو يقول لها: اركبي يا حقيرة، أيتها الزانية السافلة سأسلمك إلى أهلك الآن فلا مكان لك في بيتي، وأخذت حليمة تبكي وتقول له أرجوك.. أرجوك، إنني لم أزني ولم أخنك إنه طفلك.. إنه هبة الله لنا، فظلت ترجوه وتبكي دون جدوى، وعندما وصل إلى بيت أخيها

الأكبر محمود. قال لها: انزلي أيتها الزانية الحقيرة، فرفضت حليمة النزول إلا أنه أمسك بها من شعرها ورمى بها إلى الأرض وأغلق باب السيارة وعاد إلى بيته وهو ينطبق عليه قول الشاعر:

صامت لو تكلما لفظ النار والدما

ودخلت بيت أخيها وحالها يرثى له، شعرها منكوش وعيناها محمرتان من كثرة البكاء، فقام أخوها كالمجنون وأمسك بها وهو يصرخ من فعل بك هذا؟ ماذا حصل لك؟ فقالت له دعني، اجلس وسأحكي لك كل شيء، وجلست وقصت عليه الحكاية كلها كما حصلت، فجن جنون أخيها، فحمل المسدس وهو يقول: سأنتقم منه.. سأقتله أنك أشرف امرأة وأنا أعرف كيف ربيتك على الفضيلة والأخلاق الحميدة، فأمسكت به وهي تقول: أرجوك يا أخي لا تلوث يديك بدمه سيظهر الله براءتي أرجوك لا تحل المشاكل بالعنف وإنما بالطرق السلمية فكل مشكلة لها حل.

هدأ أخوها ونادى إخوته الآخرين وعقد مجلس العائلة وقرروا مقاضاته عند القاضي العشائري، فذهب أخوها الأكبر محمود إلى القاضي العشائري وقص عليه قصة أخته، فقال له القاضي: لا تتم المقاضاة إلا بعد أن تنجب أختك طفلها ويمشي، وبعد أن يمشي الطفل أحدد لك موعد المقاضاة، وبعد أن أنجبت حليمة طفلها الأنثى وأسمتها "هبة الله" وذلك شكراً لله على ما أعطاها، وبعد أن مشت الطفلة ذهب أخوها محمود إلى القاضي العشائري وأخبره.

حدد القاضي يوم الجمعة للقضاء وطلب منه دعوة مخاتير وشيوخ العشائر في المنطقة وبنيت بيوت الشعر وعددها أربعة

قرب الجامع، فكانت المنطقة لا يوجد فيها بيوت من الطين أو الحجر إلا قليل فمعظم الناس كانوا يسكنون بيوت الشعر، وتجمع الرجال وحضر مسعود زوج حليمة وأقاربه، وجلسوا في البيوت وذبحت الذبائح وتناول الضيوف الطعام بعدها قام القاضي وقال: هاتوا الطفلة، فأحضرت الطفلة هبة الله للقاضي ووقف القاضي أمام البيوت الأربعة المليئة بالرجال وقال: للطفلة الصغيرة التي لم ترى أبوها ولو مرة واحدة، اذهبي إلى أبوك بمشية الله، سارت الطفلة ونظرت في وجوه الرجال ثم جلست في حضن أبوها مسعود، فبهت الحضور وهم يقولون لقد أثبت الله براءتها، خرج الجميع.. الله أكبر.. الله أكبر، إنها بريئة يا مسعود، فبكى مسعود وهو يحضن طفلته وقام إلى إخوتها وهو يعتذر ويقول: أنا أستحق القتل لأنني شككت بأخلاق حليمة، وأنا لا أستحقها وحليمة تنظر عن بعد، فأمسك به أخوها الصغير وطرحه أرضاً واستل سكيناً كانت في جيبه يريد قتله إلا أن الرجال أمسكوه، وركضت حليمة ووقفت بين زوجها وأخيها تحميه من أخيها وهي تقول سامحه يا أخي لقد سامحته أنا، إنه زوجي ووالد طفلتي فلا تحرم ابنتي من والدها.

جثا مسعود على ركبتيه وهو يبكي.. سامحيني يا حليمة سامحيني وحمل طفلته وأمسك يد زوجته وعاد إلى بيته، ولم تنجب حليمة غير هبة الله، وكبرت هبة الله وأتمت تعليمها الجامعي، وذلك الشاب الذي رأيته يدفع الكرسي المتنقل هو زوج هبة الله، فهو شاب لطيف حنون يعامل مسعود وحليمة كأنه ابنهما ويدلل هبة الله كأنها طفلته وليست زوجته.

أم عصام: تقف.. يا الله، بخاطرك يا أم أحمد أريد أن أعود إلى البيت لأطهو الطعام لأبنائي قبل أن يعودوا من المدرسة.

أم أحمد: رافقتك السلامة يا أختي شريطة أن تعودي غداً إن شاء الله.. فقد تعودت على جلساتك ولم أعد أستغن عنك.

أم عصام: تضحك.. إن شاء الله.

وفي اليوم التالي جلست أم أحمد أمام المتجر تنتظر أم عصام وتنتظر رزقها وهي تمسك المسبحة وتداعب حباتها بأصابعها وتحرك شفاهها بالتسبيح، إذ برجل كبير السن عمره الخمسين عاماً مع امرأة شابة بالخامسة والعشرين من عمرها دخلوا المتجر وهي تشير بأصبعها إلى ما تريد وهو يشتري دون معارضة، وأثناء ذلك دخلت أم عصام وظلت واقفة خارج المتجر وأشارت برأسها إلى أم أحمد أن أكملي عملك وهي تبتسم، فعرفت أم أحمد أن هناك قصة خلف هذه الابتسامة، فأكملت عملها بسرعة ووضعت الأغراض في كيس كبير وحمل الرجل الأغراض ورافقته الفتاة وخرجا من المتجر، فأسرعت أم أحمد إلى أم عصام وقبل أن تسلم عليها.

أم أحمد: ما وراء ابتسامتك.. أكيد فيه قصة طلاق، ما هو سببها؟ ومن هم أبطالها؟ هل هو هذا العجوز؟.

أم عصام: تضحك.. نعم هذا العجوز، لقد طلق زوجته أم أولاده الستة أكبرهم تعين معلم في المدرسة، وتزوج هذا العجوز هذه الفتاة التي رأيتها أنها أصغر من بناته.

أم أحمد: لقد ضننت أنها ابنته، ولكن ما سبب الطلاق بينهما أكيد أكيد عشق هذه الفتاة لشبابها وجمالها فعرفت أم الأولاد وطلبت الطلاق.

أم عصام: تضحك لا تستبقي الأحداث يا أم أحمد، كل قصص الطلاق في المرات السابقة كان الرجل هو السبب لكن هذه المرة المرأة هي السبب.

أم أحمد: كيف حصل ذلك.. تحدثي يا أم عصام.

أم عصام: ترفع رأسها وتنظر إلى أم أحمد.. لقد كان هذا الرجل العجوز يوسف وسيماً حنوناً متعاون مع زوجته أنغام،

وهي ابنة عمه.. وكان موظفاً وهي ربة أسرة بدأت حياتهما هانئة سعيدة يشاركها أعمال البيت من كنس وجلي وطبخ وغسيل ولا يأبه لرأي الناس الذين يرونه يعمل مع زوجته التي أحبها حباً شديداً، فهو يقول أن الأسرة كبيرة والأولاد متعبين، الله يعينها فهو يشعر معها بكل شيء يتعب لتعبها ويمرض لمرضها، إلى أن كبر الأولاد وكثرت مصاريفهم وأصبح الراتب لا يكفي هاجر إلى دول الخليج وأخذ يعمل ليل نهار ويرسل لها النقود، ويتصل بها باستمرار يطمئن على الأولاد وعن أخلاقهم وأصدقائهم، فكانت تخفي عنه ما يحدث وتطمئنه، وأصبح يأتي كل عام شهراً إجازة يقضيها برحلات ومرح وسرور مع أبناءه دون أن يذكر أحداً منهم مشكلته أو ما يضايقه، لأنها كانت تحذرهم قبل أن يعود للقرية بأن لا يحدثوه بشيء وأن من يحدثه سيحرم من النقود التي يرسلها والدهم بكثرة، وظلت مشاكل الأولاد تتفاقم فهذا ابنه سعد قد التف على صحبة سيئة وترك المدرسة، وهذه ابنته ليلى قد أصبحت راقصة في ملهى وتركت المدرسة وبقي الابن الأكبر وهو الوحيد الذي بقي يسير المسار الصحيح ولم ينحرف ولكنه "مجبر أخاك لا بطل" بأن يسكت حتى لا يخسر تعليمه في الجامعة وحتى لا يخسر أمه أيضاً، فكان يحاول حل المشاكل والسيطرة على الأمور ولكن الأم كانت تقف في وجهه، والأم لا يهمها إلا جمع الأموال من الوالد والفتاة، أصبحت الأم تتابع الموضة وتجمع الأموال والأرصدة في البنوك وتلبس أحدث الموديلات وتشتري ما يحلو لها من الصيغة الذهبية، ثم اشترت قطعة أرض وسجلتها باسمها وقامت ببناء عليها بيتاً كبيراً باسمها، وكان الزوج المحب يقول: لا يهم هي ابنة عمي لحمي ودمي وأم أبنائي، المال معها ومعي كله واحد، أين ستذهب بالمال كله؟.. لأبنائي. وعندما أعود سيتحول كل شيء باسمي كما تقول هي، وعندما أحس الرجل بأنه جمع

ثروة وأن أبناءه قد كبروا وتخرج ابنه الأكبر من الجامعة وتعين معلم عاد من الخليج ليعيش بين أبناءه وزوجته، لكنه أحس أنه غريب بينهم فمن يريد المال يذهب لأمه ومن عنده مشكلة يذهب لأمه، فكان يحاول أن يشارك في حل أية مشكلة فيرد عليه الأبناء، وما دخلك أنت.. "شو بيعرفك أنت".. نحن طلبنا من أمنا.. لم نطلب منك ومن هذه العبارات، فأحس يوسف بضيق شديد وحدّث زوجته بهذا الأمر. فقالت: اصبر سيتعودون عليك، ولكن مرت فترة ولم يتغير شيء بل كل يوم يحس بالبعد عنهم أكثر ولاحظ أن زوجته أنغام تتصرف كما لو لم يكن موجوداً، لا تسأله عن شيء وتخرج دون إذنه وتعود متأخرة وعندما يطلب منها النقود تقول له: أنا مقصرة معك شيء، لماذا تريد النقود؟ أنا أحضر لك كل يوم ما يحتاجه البيت.

وذات مرة تابع ابنته فوجدها ترقص في ملهى ليلي وهم يحاولون إخفاء الأمر عنه، فأمسك بها من شعرها وأرجعها إلى البيت، وهناك دبت المشاكل بين الزوج والزوجة أنغام. فقالت له ليس لك عندنا شيء.. البيت والأرض والأرصدة باسمي، وهؤلاء الأولاد من يريد أن يذهب معك خذه ومن يريد أن يبقى معي أتركه.

ووضعت ملابسه في حقيبة وقالت له: يا أخي حل عنّا.. ما هذا القرف! أنت مقرف، ورمت الحقيبة من الشباك وفتحت الباب ودفعته هي وأبنائها الفاشلين وخرج لا يلوي على شيء، فرأى ابنه الكبير الذي حاول قبله تعديل الأمور دون جدوى، فوضع ملابسه أيضاً في حقيبة ولحق أبوه واستأجر بيتاً وخطب هذه الفتاة لأبيه وزوجه إياها، وأراد أن يرفع قضية ضد أمه ليأخذ حق أبيه من الأموال المرصودة في البنوك كي يبني له بيتاً، لكن أبوه رفض أن يقف أمام زوجته وأبناءه في المحكمة

وسامحها بكل شيء، وهو يعمل الآن عامل بالإضافة إلى راتبه التقاعدي ويصرف على بيته.

أم أحمد: تضرب الكف على الكف.. كل عمري وأنا أسمع أن المرأة مظلومة دائماً، ولكن هذه المرة يا أم عصام كان الرجل يوسف هو المظلوم.

أم عصام: تضحك.. "يا ما تحت السواهي دواهي"، لو تري أنغام لقلت عنها مسكينة.. يا الله أريد أن أرجع إلى بيتي، وغداً سأعود إن شاء الله.. بخاطرك.

أم أحمد: مع السلامة.

بدأت أم أحمد ترتب متجرها إذ بثلاث شباب يدخلون المتجر ويتناول واحد منهم ثلاث زجاجات كولا ويجلسون على الكراسي أمام المتجر، فحاسبته أم أحمد وعادت لتكمل عملها، فبدؤوا بالحديث.

قال أحدهم: من أين أتيت بهذه النقود؟ هل تعمل من وراءنا؟ أم أنك أخذت مصروفك من أمك! نضال: لا، لم آخذ مصروفي من أمي.. يكفي أمي ما قدمته لي، لقد عملت ما فيه الكفاية في بساتين الناس وجاء دوري لأعمل وأرد لها بعض أتعابها.

أحد أصحابه: يضحك.. الذي يسمعك يقول أنك تعينت في ديوان الخدمة.. يا حبيبي، دورك بعد سنتين أو ثلاث.

نضال: ليس شرط أن أعمل من خلال ديوان الخدمة بالوظيفة، بل أنا أعمل كما كانت أمي تعمل في الأرض والبساتين، فقد استأجرت قطعة أرض وأعمل فيها أنا وأمي وإخوتي، وبعد فترة إن شاء الله سنشتريها.

(زميلاه يضحكون)

قال احدهم: درست أربع سنوات في الجامعة حتى ترجع تعمل في الأرض، ما كان أحسن لو اختصرت الطريق وعملت قبل الجامعة.

نضال: لقد درست في الجامعة حتى لا أكون جاهلاً وحتى أكون ملماً بالثقافة لتعينني في أي عمل أعمله، فالمتعلم عندما يدير مشروعاً ليس مثل الجاهل.

صاحبه الثالث: والله يا نضال إذا يطلع بأيدك تعمل في الأرض، أنا ما يطلع بأيدي، والله أخجل أحمل الفأس والمجرفة كما جدي يفعل وهو غير متعلم وأنا تخرجت من كلية الهندسة حتى أرجع فلاح، يا عيب.. يا عيب.

نضال: والله العيب يا حبيبي هو أنك تمد أيدك وتأخذ مصروفك من أبوك أو أمك مثل إخوانك الصغار، إلى متى ستبقون تلفون أنفسكم بثقافة العيب هذه، وما دامت هذه النظرة تسيطر على مجتمعنا فلن نتقدم أبداً، ألم ترى الأجانب وصلوا إلى القمر لأنهم لا يأبهون بهذه النظرة، فترى طلبة الطب والهندسة وغيرها يعملون بغسل الأطباق وتنظيف الشوارع وغيرها من مهن.

إنني أفضل أن أعمل في أي عمل مهما كان ولا أحتاج وأمد يدي للغير لأطلب المساعدة، إن حكام العالم لم يولدوا وبفم كل واحد منهم ملعقة من ذهب، فرؤساء أمريكا مثلاً منهم من كان تاجر فول سوداني ومنهم من كان ممثل سينمائي وغيره ..الخ.

أم أحمد: تلتفت إليه.. الله يكملك بعقلك يا بني، أنك تنظر للأمور من الزاوية الصحيحة أرجو أن تحذوا حذو صاحبكم

نضال أيها الشابان فأطرق الشابان المرافقان رأسهما خجلاً ثم خرجا من المتجر.

وبينما أم أحمد تجمع أغراضها للعودة إلى بيتها إذ أوقف أبو أحمد السيارة أمام المحل وطلب من أم أحمد أن تعود معه إلى البيت. ونظرت أم أحمد إلى وجه زوجها فرأته مهموماً.

أم أحمد: أبو أحمد ما بالك مهموماً؟.

أبو أحمد: نعم يا أم أحمد، أنا بحاجة للمال لأدفع لأحمد رسوم الجامعة.

أم أحمد: باستغراب.. ولكن أين راتبك، ألم نتفق أن يكون راتبك لأحمد ولبنزين السيارة، وأرباح المتجر هي لمصاريف البيت من أكل وشرب وكهرباء وأجرة المحل ولباس وعلاج لنا جميعاً.

أبو أحمد: نعم.. أعلم ذلك ولكن بالأمس عندما أردت العودة إلى البيت أصاب السيارة عطل، فاضطررت إلى إصلاحها فكلفني ذلك مئة دينار.

أم أحمد: تشهق.. مئة دينار، الله أكبر.. لماذا مئة دينار؟ هل ركبت لها قطعة من ذهب حتى صلحت؟.

أبو أحمد: لا والله يا أم أحمد.. حتى أن تصليحها لم يستغرق أكثر من ثلث ساعة، تصوري أن العملية استغلال، لا عليهم رقيب ولا حسيب مثلما يشاءون يفرضون الأسعار، والبنزين ارتفع منذ مدة بسيطة وأنت تعرفي ذلك "بدنا همتك".

أم أحمد: أحمد الله لأن المتجر يكفي حاجات البيت.

أبو أحمد: إذن ما في أمامي إلا أن آخذ سلفة من البنك.

أم أحمد: تنتفض.. أتريد أن تدرس ابني بمال ربا، مال حرام، خلص.. خلص أنا أعمل جمعية مع جاراتي وأدبر المبلغ، ما عليك اتكل على الله.

أبو أحمد: يبتسم.. إن الزوجة الصالحة نعمة من نعم الله، وأنت يا أم أحمد تشعريني دائماً بالاطمئنان، فأنت الصديقة والزوجة والحبيبة وكل شيء في حياتي، ودخل أبو أحمد وأم أحمد البيت وهما يبتسمان.

وفي اليوم التالي ذهبت أم أحمد إلى متجرها وهي تفكر في كيفية عمل جمعية ومع من من الجارات ستعملها، وفتحت المتجر وجلست أمامه تنتظر مرور إحدى الجارات حتى تحدثها بذلك، وإذ بأم عصام تدخل وهي واجمة حزينة، فسلمت على أم أحمد وجلست.

أم أحمد: أنت حزينة لان ابنتك وسام لم تنجح في الثانوية، العامة يا ستي في السنة القادمة تعيد وان شاء الله تنجح، وإذا ما نجحت زوجيها لمن يتقدم لخطبتها، هي الثانوية العامة آخر المطاف في هالدنيا.

أم عصام: نعم يا أم احمد صارت آخر المطاف، لأنها المفتاح إلى مرحلة جديدة من عمر الطالب، فإذا لم ينجح لا يدخل جامعة وإذا لم يدرس جامعة لا يحصل على وظيفة، وأنت ترين حملة دبلوم الكليات عاطلين عن العمل، وتقولين زوجيها، هو في شاب يقبل في الأيام أن يتزوج إلا موظفة؟ وبالأحرى جامعية ولو كان يحمل الابتدائية فهو يشترط أن تكون العروس جامعية وموظفة. يا أم احمد والله عصام رسب ولا اهتميت ولا زعلت لأنه رجل يعمل في أي عمل والمهم يكون معه نقود، ساعة يريد الزواج يبحث عن عروس بالمواصفات التي يريدها.

وبينما هما تتحدثان إذ دخلت أم فراس وثوبها ممزق وشعرها منكوش ودون أن تطرح السلام، حملت الجرائد من أمام الدكان وألقت بها إلى الشارع وهي تقول أنت لا تخجلي ولا تخافي الله هذه الجرائد عليها صور نساء عاريات، ثم فتحت الثلاجة وأخذت ترمي الكولا إلى الشارع وتحمل البضائع وترمي وأم احمد مندهشة، وبعد قليل صحت أم احمد من دهشتها وتناولت عصا بجانبها وضربت أم فراس على يدها وقفاها ودفعتها خارج المحل وساعدتها أم عصام بذلك.

أم احمد: جلست مندهشة.

أم عصام: لا تندهشي، هذه أم فراس التي تعرفينها العاقلة الكاملة أصبحت مجنونة وتدور بالشوارع.

أم احمد: وهل من سبب لذلك؟.

أم عصام: نعم.. نعم هو في غيرهم!.

أم احمد: من هم؟.

أم عصام: يا ستي زوجها أبو فراس تعرف على معلمة مدرسة مطلقة لها بيت مؤثث من جميعه تلفزيون وستالايت وغرفة نوم ومطبخ جوايكو وغرفة ضيوف وغرفة ضيوف كنابيات وغرفة سفرة ومعها هاتف خلوي، وهو طول اليوم مستلقي في فراشه وأم فراس بجانبه ويتحدث مع هذه المعلمة "نبراس" ويشكو لها حبه ودقات قلبه ويبعث لها القبل والآهات عبر الهاتف، وأم فراس تتلوى من الألم والغيض والخوف على بيتها من الانهيار وتكتم في نفسها، وإذا فتحت فمها بكلمة أخذ يضربها حتى يغمى عليها، ثم يسكب عليها الماء ثم يتركها ويخرج من البيت، وكل ليلة على هالحال والراتب كله يشتري فيه بطاقات خلوية للهاتف والأولاد يطلبون الطعام والشراب

واللباس والمصروف من أمهم وهي لا تعمل فماذا تعمل؟ فأصبحت بين نارين فمن كثرة الكبت جنت وها هي كما ترين.

أم احمد: بدهشة.. والأولاد أين هم؟.

أم عصام: عنده بالبيت.. هو ألان يكنس ويطبخ ويغسل.

أم احمد: ولكن.. الم يتزوج المعلمة التي أحب ؟

أم عصام: لقد رفضت المعلمة بسبب كثرة أولاده، وقالت له: أنا أريدك لوحدك وما عندي استعداد أكون مربية لأولادك، فطلب من أمه أن تحتضن أولاده فرفضت أمه وهي تقول: أنا ربيت أولادي وكفاية علي دوري انتهى هذه أمهم حية عالجها وساعدها ولم شمل أسرتك. وأحس بثقل الحمل وأحس بما تقدمه زوجته من دور كبير في الأسرة من تدبير أمورها وحل مشاكل أولادها، فأرسلها إلى الطبيب وتخلى عن فكرة الزواج والآن علاجها يحتاج إلى نفقات كثيرة وإلى فترة من الزمن، فعليه الاحتمال وسمعت أن ابنها الكبير قد ترك المدرسة وهو في الثانوية العامة وسافر إلى السعودية ليعمل حلاقاً لكي يجمع النقود ليعالج أمه. والله يشافيها إن شاء الله.

أم أحمد: آمين.

أم عصام: تقف.. يا الله.. بخاطرك يا أم أحمد.

أم أحمد: بكير يا أم عصام.

أم عصام: ما أنت عارفة، أريد أن أذهب إلى البيارة مع أبو عصام حتى أجمع الأعشاب في البكب.

أم أحمد: بدهشة.. ولم لا يجمعها أبو عصام؟.

أم عصام: تضرب كفاً بكف.. أبو عصام يجمع الأعشاب، والله لو الشمس تطلع من الغرب ما عملها، والله البيارة أنا التي أرشها وأقنبها وأسقيها وعند القطاف أنا أجمع العمال وهو عليه

إلاّ أن يرسلها للحسبة "سوق الخضار والفواكه" ويقبض الثمن ولما نحتاج أغراض للبيت نأخذ منه ثمنها بمشقة كبيرة.

أم أحمد: ولما ينزل معك البيارة ماذا يفعل هناك؟.

أم عصام: تضحك.. يجلس بطرف البيارة وأمامه إبريق الشاي وبراد قهوة وعلبة سجاير وكيس بزر مصري يتسلى حتى أكمل عملي، فنرجع إلى البيت ويجلس أمام التلفزيون وأنا أطعم الأبقار وأسقيها وأحلبها وأعد الطعام وهو ينادي باستمرار، وين الغداء وين الشاي أسرعي.. والله يا مسلمة حارق أعصابي، جايب لي الضغط والسكري، تعبت.. والله تعبت ما عاد أتحمل.

أم أحمد: تضحك.. إذن هيك هو حامل هالسمنة.. والله صلاة النبي يمشي في الشارع وهو لابس "الدشداشة" كأنه خيمة تمشي أو شاحنة مشدرة.

أم عصام: تضحك.. وزوجك يا أختي ما شاء الله عليه ما هو كمان لاحقه.

أم أحمد: وهي تضحك.. بلى أهون من بلى ما هو كمان زوجي يرجع من الدوام ولا يقوم من أمام الكمبيوتر والتلفزيون و الريموت في يده ينتقل من قناة فضائية إلى أخرى وبراد القهوة والشاي أمامه وإذا أحس بجوع الهاتف النقال أمامه يتصل بي ويقول أغلقي المتجر أريد غداء أو عشاء أو هاتي معك علبة سردين .... الخ.

أم عصام: هو أنتي تظنين أنك لوحدك، تعاني من هذه المشكلة، فكل نساء الوطن العربي تعاني من هذه المشكلة وخاصة نساء الأردن فسمعت بالتلفزيون أن المرأة الأردنية هي أقل نساء العالم نوماً ومعظم النساء الأردنيات لا يأخذن قسطاً

كافياً من الراحة فالرجل العربي يرى أنه من العار أن يشارك المرأة في أعمال البيت، ولكن ليس من العار أن تأخذ نفس شهادته بل أفضل وتعمل في مثل مركزة أو أفضل في مجال الوظيفة، وهذا عيب موروث بالتربية التي تربى عليها الرجل، كل شيء عليه حلال، ولا عيب عليه حسب تربيته من قبل الأم والأب وخاصة من قبل الأم التي هي امرأة لأنها تعرف لو لم يكن لها ولد لتزوج عليها زوجها ولو عندها بنت، وهذه نظرة خاطئة يجب أن نغيرها نحن النساء في تربية أولادنا كأمهات وزوجات وأخوات وحموات، فلا تضغط الأمهات والحموات على أولادهن وزوجات أولادهن ليتزوجوا لأن ليس لديهم أولاد ذكور، وأيضاً يجب على المرأة تدريب ابنها كما تدرب ابنتها على أعمال البيت، فينشئوا جميعاً متساوين في الشعور والإحساس تجاه الأعمال داخل وخارج البيت، ولا أنكر أن للأب دور الموجه والمرشد الحاكم الرادع، ولكن دون أن تكون كل الأعباء على المرأة فهي تعمل طوال النهار وهو يعمل نصف النهار، فلماذا يدلل نفسه على حسابها، ثم جلست أم عصام وبحلقت عيناها وعضت على شفتها وهي تقول كله كوم وعودته إلى البيت كوم، يجلس وهو يصدر الأوامر هاتوا، قيموا، حطوا أو يصمت وإذا نطق أحدنا بكلمة يا ويله. الصمت يحب أن يخيم على جو البيت، السيد يريد يسمع الأخبار أو يريد أن يتابع مسلسل والمرأة تعمل وتعمل وإذا جلست معه لا تسمع كلمة حلوة، ولا كلمة الله يعطيك العافية مع أنها تقدم له كل وسائل الراحة.

أم أحمد: تضحك.. ولكن لو ترينهم مع أصحابهم، هرج ومرج وضحك ومزاح.

أم عصام: يا ريت هذا فقط يا ستي، إذا ابنه ارتفعت حرارته وهو غائب وذهبت للطبيب أو للجارة وأحضرت مخفف حرارة أو حضر ضيوف وهو غائب وذهبت للفرن لتحضري الخبز أو للخضرجي أو للطبيب، فعندما يعود للبيت ويعرف بالموضوع انقلب يومها لجحيم، فينتقل من محاضرة إلى محاضرة في الأخلاق ويحصد القديم والجديد من المواقف التي يحصيها لزوجته، وهو لا يحصي له شيء وإن حصت، لا تستطيع أن تواجهه بعيوبه لأن النار تزيد ولا تنطفئ فتري أن الصمت أفضل وأن تخبره عن تحركاته غائباً أو حاضراً وتأخذ رأيه في كل كبيرة أو صغيرة، حتى في وظيفتها يتدخل ويحاسبها لماذا لا تأخذ رأيه في المشاكل التي توجهها في الوظيفة، بينما هو لا يحدثها عن شيء ولا يشركها في حل أية مشكلة ويجلس يفكر وبصمت لوحده ويقلب جو البيت إلى كآبة وكبت اللهم إلا إذا كانت المشكلة مادية فهو يطلب رأيها ويقبل حلها.

وبينما هما جالستان تتجاذبان أطراف الحديث إذ بسيارة بكب تطلق زاموراً صاخباً تقف أمام المتجر ويترجل منها أبو عصام.

أبو عصام: "سأريك الويل عندما تعودين إلى البيت، جالسة تتسلي وتاركة البقرات بدون أكل.. هيا اصعدي اصعدي إلى السيارة لنذهب إلى البيارة لتجمعي الحشائش والأعشاب للبقرات، هيا.. هيا وركلها على قفاها بقدمه وهي تصعد إلى السيارة.

أم عصام: طأطأت رأسها وعيناها تسكبان الدمع.

أم أحمد: في نفسها.. ليس أنت فقط يا أم عصام كلنا كذلك، إما نعمل ما يريدون وإما الإهانة، فهم لا يقدرون شعورنا فهذه

مشكلة مستعصية فهم لا يقدرون شعورنا، فهذه مشكلة مستعصية ما لنا إلا الصبر وستحل مع الأيام ومع الإعلام الجيد ووسائل التثقيف الصحيحة والصحية علّ الأجيال التي بعدنا تأخذ حقها ودروها الصحيح في المجتمع.

وفي اليوم التالي جاءت أم عصام إلى أم أحمد وألقت التحية على أم أحمد ولكن أم أحمد لم تشعر بها:

أم عصام: وحدوه.. ماذا يشغل بالك يا أم أحمد؟.

أم أحمد: تنبهت وردت التحية.. اجلسي يا أم عصام واسمعي البرنامج.

أم عصام: ما هذا البرنامج الذي جاذب انتباهك لهذه الدرجة؟.

أم أحمد: والله يحكي عن الزواج المبكر، ومضارة على نفسية الشاب والفتاة ونمو أجسامهم..

أم عصام: تضحك حتى كادت تقع على قفاها ...

أم أحمد: ما يضحكك يا أم عصام؟.

أم عصام: تهز رأسها.. يحكوا عن الزواج المبكر! لماذا لا يحكوا عن العبوسة؟ هن البنات لاقيات عرسان! هو في أحد قادر يفتح بيت من الشباب؟ يا حسرة عليهم! فهذا عاطل عن العمل.. وهذا راتبه لا يكفيه دخان وهذا مسئول عن أسرة أبوه وتعليم إخوانه، وكله كوم وثمن علاج أمه كوم، فصار معظم الناس مصابين بمرض السكري والضغط ومرض العصر إلي صار ينافس الأمراض السارية وهو مرض السرطان، وكلها ما شاء الله علاجها يتطلب موازنة. بالله عليك أغلقي التلفزيون ودعينا نريح رؤوسنا وننسى همومنا قليلاً.

أم أحمد: والله انك صادقة يا أم عصام، تعبنا من السماع.. دائماً نسمع.. ونسمع من التلفزيون – الإذاعة – الزوج الأب – الأخ – الابن، والله ألسنتنا تعبت من كثرة الصمت، حقاً دعينا نحكي حتى ما ننسى ألحكي.

تناولت أم أحمد إبريق الشاي وسكبت كأساً من الشاي لها وكأساً لأم عصام وأخذتا ترتشفان الشاي وتلقيان الطرائف وتضحكان، وبينما هما كذلك إذ بصوت صراخ وبكاء.. فخرجتا أمام المتجر وإذا بالسيد عادل يضرب زوجته القابلة ويشدها من شعرها خارج البيت، فركضت أم عصام إليهما وأنقذتها من بين يديه، فهربت زوجته إلى بيت أهلها وعادت أم عصام.

ولكن عندما يضرب رجل زوجته لا أحد يتدخل، بل يقولون دعوه يربي زوجته يعني هو مربى خلقه ربنا، وزوجته غير مربية، أنه شيء غير حضاري عندما تري امرأة، متى تري امرأة تضرب زوجها؟ ويقولون الناس: امرأة تربي زوجها.

أم أحمد: على هونك يا أم عصام، أن الله سبحانه وتعالى لم يقل أن يضرب الرجل زوجته على أتفه الأسباب، بل قال تعالى:

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ﴾ **[النساء: ٣٤]**، أي جعل الضرب درجة ثالثة في التأديب، وحتى الضرب غير مبرح أي غير مؤلم، لا يترك أثراً في الجسم وليس على الوجه، ويأتي بعد الموعظة والهجر في الفراش ثم الضرب، ويحق للمرأة أن تدفع ظلم الزوج عن نفسها بضربه دفاعاً عن نفسها وحفاظاً على الروح البشرية التي أمر الله بالحفاظ عليها.

أم أحمد: ما يهمه شيء، لماذا يضربها؟.

أم عصام: والله ما أدري من الصادق ومن الكاذب؟ هو يقول لا تسمح لي بالزواج عليها لأنها عاقر، وهي تقول يضربني لأنني أعطيت أمي عشرون دينار، يا مسلمة دائماً يحكوا عن حقوق المرأة والمساواة. الله أعلم أنما هو قد تزوج قبلها ثلاث ولم تنجب أية واحدة منهن.

أم احمد: وهل تزوجت نساءه الثلاث؟.

أم عصام: نعم تزوجت الأولى المعلمة أروى رجل متزوج وله أولاد ولكن الله لم يكتب لها أن تنجب، وتزوجت الزوجة الثانية رويده وهي خياطة ويقال أنها حملت وطرحت ولم تحمل بعد وزوجته الثالثة سهام صيدلانية، في الثلاثين من عمرها وبقيت معه سنتان والآن أم لطفل في شهره الرابع، والآن هو متزوج من هناء قابلة في المستشفى منذ عامين، ولم تنجب أم احمد يبدو أنه غني حتى تقبل به الفتيات أم عصام باستهزاء غني والله " طفران ما حيلته اللظى" سوى راتبه الشهري من شركة الكهرباء لن هو الآن غني لأنه يعذب المرأة ويجعلها ترى النجوم بعز الظهر حتى تطلب الطلاق ولما تطلب الطلاق يطلب منها ان تدفع له مبلغ كبير من المال.

أم احمد: "ما تجيبه الرياح تأخذه الزوابع"، هذا المال لا يفيده وسيأتيه يوم يشحذ الملح وربنا يمهل ولا يهمل، وبينما هما تتحدثان إذ بمجموعة من الناس رجال ونساء وأطفال يحملون لوحات كتب عليها "حبيبي محمد عليه السلام" وعبارات أخرى وهم يهتفون يا دنماركي يا جبان يا حاقد على الإسلام ... وهتافات أخرى، ووقفت أم احمد وأم عصام أمام المتجر فاستوقفن امرأة من المتظاهرات وسألنها عن سبب هذه المظاهرة.

المرأة: ألم تسمعن الأخبار في التلفزيون والإذاعة والجرائد كلها نشرت الخبر.

أم أحمد: وما الخبر؟ فأجابتها المرأة.. يا ستي صحف دنمركية ونرويجية نشرت رسومات كاريكاتورية مسيئة للرسول عليه الصلاة السلام.

أم عصام وأم أحمد: تشهقان.. وأخذن يضربن كف بكف، وقلن بصوت واحد خسئ الكفرة من أن يمسوا الرسول بإساءة، واندمجت أم عصام مع المتظاهرين تهتف كما تهتفون وعادت أم أحمد وفتحت التلفزيون وإذ بجلالة الملك عبد الله يلقى بخطابه بثلاثة آلاف شخصية أوروبية يشجب في هذا الخطاب الإساءة للرسول، ويوضح لهم أن الدين الإسلامي دين محبة وآخاء بين الشعوب، وبأنه للناس كافة وأن حرية التعبير لا تعني بالإساءة للدين الإسلامي أو الأديان الأخرى، وأن حرية الفرد تنتهي عندما تبدأ حريّة غيره وليس معنى الحرية أن نسيء ونعتدي على الآخرين، وبعد هذا الخطاب خرج الرئيس الأمريكي بوش وجلالة الملك عبد الله ليشجبا ويستنكرا الإساءة للأديان .

أم أحمد: هكذا تحل الأمور بالتوضيح ونشر الثقافة الإسلامية وإيصالها لمن يجهلها، فهذا ليس غريبا على آل هاشم فهم من نسل الرسول " صلى الله عليه وسلم " المعلم الأول الذي علم البشرية كيف يتحابون وكيف يتعلمون ويعلمون، فقد أرسل المعلمون إلى كافة الأمصار ليعلموهم الدين والعقيدة والمحبة وحسن التعاون "فهو لا ينطق عن الهوى إن هوى إلا وحي يوحى". وفي اليوم التالي كان الجو مكفهراً وبارداً و تتساقط الأمطار بغزارة فتحت أم أحمد المتجر وأشعلت المدفأة وجلست بالقرب منها، ومدت يدها إلى مفتاح المذياع وإذ بصوت فيروز يشدو بأغنية جميلة بصوت دافئ وحنون..

صار لي شيء مية سنة
مشلوح بها الدكان ...

أم أحمد: تهز رأسها.. نعم أنه الدكان.. الدكان سجن مفتوح وسجن إرادي أنا جالسة بالدكان والناس رائحون وآتون، وها هم يحملون الشمسيات يذهبون إلى أعمالهم وأنا أبحلق فيهم عسى أحدهم أن يدخل الدكان ليشتري، ما هذا؟ لقد أصابني الملل وهذه البضاعة بدأت تكسد وتنتهي مدة صلاحيتها لقد كانت الوحيدة في هذا الشارع والآن أصبح في هذا الشارع أكثر من عشرة دكاكين فكل عشيرة فتحت لها دكان، وبينما هي تفكر إذ دخلت امرأة تحمل شمسية وتمضغ اللبان فطرحت السلام وناولت أم أحمد عشرة قروش وهي تقول أعطيني باكيت فاين جيب يا أم أحمد، فناولتها باكيت فاين.

أم أحمد: أين أنت يا أم يوسف؟ لم أرك منذ مدة طويلة.

أم يوسف: والله يا أم أحمد فتحوا مؤسسة مدنية قرب عملي وصرت أشتري أغراضي من هناك عدم المؤاخذة يا أم أحمد هناك البضاعة أرخص وأنا أولى بقرشين، أرجو أنك تفهميني يا أم أحمد وما تزعلي مني.

أم أحمد: لا يا أم يوسف عادي الأرزاق على الله، ليس أنت فقط لقد أصبح معظم الزبائن يذهبون إلى المؤسسة المدنية والعسكرية والدكاكين ما عادت تبيع، المؤسسات أكلت السوق وعملت بطالة للتجار الصغار وصار معظمهم يريدون إغلاق محلاتهم ويبحثوا عن أعمال أخرى.

جلست أم أحمد حزينة أمام متجرها فإذا بقطة صغيرة متشردة تقف أمامها وتموء بألم أحست أم أحمد أنها جائعة

فأحضرت قطعة جبن وخبز ووضعتها أمامها فأخذت القطة تأكلها، وأم أحمد تنظر إليها.

أم أحمد: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: "في كل كبد رطبة أجر".

وبينما هي تستمتع بمنظر القطة إذ باص رحلة يقف أمام الدكان وينزل منه شبان وشابات منهم كاسيات ومنهم شبه عاريات و شبان يرتدون بنطلونات قصيرة ويضعون كاميرات في أعناقهم وهواتف خلوية. نظرت إليهم أم أحمد باستغراب وقالت في نفسها والله ما أنا عارفة الشباب من البنات كلهم شعرهم طويل وملابسهم ملونة، فتقدم أحدهم وقال " هاي حجة عندك أورنجس، وتقدم آخر وهو يقول في عندك همبورغر أو سنيورة، وتقدمت فتاة وهي تقول هلو، ونظرت إلى البضاعة الموضوعة فقالت: بامتعاض أوه سوري ما فيه الجولاكس التي أحبها، ودخلت أخرى وتناولت قطعة من الشكولاته "بك ون" وهي تقول بليز آنتي أعطني هذه الشوكلاته، وقدمت قطعة أخرى لصاحبها الذي شعره أطول من شعرها وهي تقول بليز كلّ فقال لها: نو نو.. ما أحبها.

وسأل آخر وهو يقول آوه ما في محل هون يبيع تشكن تكة، فقالت أم أحمد: ماذا تعني؟ فقال: لها دجاجة على الفير، فاعترضت صديقته وهي تقول: آوه نو.. نو أنا ما بدي أوكل تشكن مشوي لأنه هالأيام في فيروس طيور، وهو منتشر في معظم أنحاء العالم. فألتفت إليها قائلا لكن الأردن نو ما فيه هذا المرض، ووزارة الصحة و الزراعة أكدت ذلك بالتلفجن فردت قائلة: أي نو.. لكن لا أريد لأنني فري فريد.

نظرت أم أحمد إليهم باستغراب وهي لا تفهم شيئا ثم قالت لهم يا يمّا أنتم عرب والا أجانب فردوا عليها: أوه مامي نحن

عرب ونحن طلاب جامعيين أتينا إلى الغور حتى نستمتع بالطبيعة الحلوى عندكم بتجنن وبتهبل أرضكم ياي ما أحلى الخضرة والربيع حلو "فري نايس فانتاستيك" ونظرت أم أحمد فرأت فتاة تخلع قميصها وتربطه على خصرها وهي تقول آوه الجو فري هوت، ووضعت سماعات في أذنها وأدارت مفتاح مسجل صغير كان معلقا في حزام بنطالها القصير وأخذت تدندن كلمات غير مفهومة وتهز جسدها برقة وحركات هسترية. فالتفتت أم أحمد وهي تقول: يا بني هذه أرض الأردنيين جميعا بل أرض كل العرب ونحن نهلي ونرحب بالسياح جميعا، سواء كانوا أجانب أو عرب أنا والله ما أنا فاهم عليكم ما هذه اللغة التي تتكلمون فيها لا هي عربي ولا هي انجليزي، فضحكوا جميعا وقال أحدهم هذه اللغة أسمها عرب إيزي يا حجة أم أحمد. ومن أين أتت هذه اللغة؟ أنا أعرف اللغة أما عربي أو إنجليزي، وقالت أحداهن: أنتي شو بعرفك بهذه اللغة الجديدة جاءت من دمج اللغة العربية والإنجليزية، فطلعت معنا لغة جديدة فضحكوا جميعا وقهقهوا.. أسم هذه اللغة عرب أيزي .

أم أحمد: والله يا بنتي أنا حزينة على هذا الجيل الجديد الذي لا يعرف لغته الأصلية لغة قومه التي حفظت تاريخ قومه وأمته، وسجلت انتصاراتهم وحضارتهم وثقافاتهم وفنونهم الخالدة منذ آلاف السنين، ونزل بها القرآن الكريم الذي حفظه الله من التحريف والتغيير. والا هو عارف اللغة الإنجليزية بما أنجزت وأستوعب من مخترعات واكتشافات وصناعات فصار ينطبق عليكم المثل الذي يقول " بين حانا ومانا ضاعت لحانا ".

فقالت أحداهن: أحكي إلنا يا خالة قصة هذا المثل.

أم أحمد: واحد اتزوج زوجتان واحدة شابه والأخرى عجوز واحدة أسمها "حانا" والأخرى "مانا" فكان إذا ذهب إلى العجوز

تنزع الشعرة السوداء والشابة تنزع الشعرة البيضاء له من لحيته حتى لم يبقى له لحية، فوضع يده على لحيته وقال بين "حانا ومانا" ضاعت لحانا. وأنا والله خايفة يأتي يوم لا تفهموا بالعربي ولا بالإنجليزي ولا أحد يفهم عليكم.

أحدى الفتيات: وكانت شبه عارية.. آوه أنتي جاهلة شو بعرفك باللغة، هذه ستايل وهالأيام دارجة.

أم أحمد: تهز رأسها استايل وأنا جاهلة! أنا متعلمة مثلي مثلكم، ولكني فضلت العمل الحر لأبقى قريباً من أبنائي وبيتي أربيهم أنا وليس المربيات الأجنبيات. نعم أنا متعلمة وأرجوا منكم أن تحافظوا على لغتكم وتفتخروا فيها لأنها أم الحضارات وأن ترجعوا إلى المراجع وتروا أصحاب هذه اللغة كيف أصحاب هذه اللغات حكموا العالم ونشروا العلم في أرجاه، ويكفي هذه اللغة فخراً أنها نزل بها القرآن وهو خاتم الرسالات السماوية. فها هو العالم اليوم يتهافت على تعلم لغتنا ودراسة حضارتنا وأنا لا أقول لا أن تتعلموا الإنجليزية وأن تتحدثوا فيها بل أقرؤوها وتحدثوا ولكن دون خلط، وأنا لا أقول لا تقلدوا الأجانب بل قلدوهم بما هو خير لكم ولأمتكم وما يتناسب مع دينكم وعاداتكم. ونحن نسير على هدي رسولنا عليه السلام حين قال: "من علم لغة قوم حفظ شرهم " .

فطأطئوا رؤوسهم وخجلوا من أنفسهم وهم يقولون لقد أخذنا درسا من رحلتنا هذه لن ننساه أبدا يا أحلى حجة وسنزوركم دائما، وأخذ كل واحد منهم يشتري ويدفع ثمن ما يشتري وطلب أحدهم قائلا: يا حجة لتر بيبسي، فقالت له أم أحمد هلب يور سليف وضحك الجميع وحملوا أغراضهم وصعدوا إلى الباص وهم يودعون أم أحمد ويبتسمون، وبعد أن ذهبوا سرت أم أحمد وهي تقول لنفسها أنه يوم جيد وأخذت تعد النقود فإذا بها عشرة

دنانير ووضعتها في الجرار وهي تقول سأغلق المتجر لأعد لأولادي اليوم منسف، فلي مدة لم أطهو لهم هذه الأكلة فهم يحبونها وأغلق المتجر وعادت البيت.

عادت أم أحمد إلى متجرها في صباح اليوم التالي وهي تشعر بالنشاط والحيوية وهي تدندن طلعت يا محلى نورها شمس الشموسة يا لله بنا نمشي ونحلب لبن الجاموسة" وعندما وصلت أم أحمد فوجئت بشابين صغيرين في الرابعة عشرة من عمرهم جالسين أمام المتجر ينتظرون فتحها، كان أحدهم يرتجف ووجه مصفر وشفتاه فيهما جفاف واضح.

أم أحمد: السلام عليكم.. وقف الشابان.

أحد الشباب: أريد علبة آجو.

أم أحمد: بدهشة.. آجو! ألستما طالبان في المدرسة المجاورة، ألست أنت أبن أبو زهير وأنت أبن أبو حسونة؟ هل تركتم المدرسة واتجهتم للعمل بالنجارة؟.

احد الشباب: الذي كان يرتجف وقال بعصبية أعطينا علبة آجو "و بلا علك حكي" وهو يضع يده على جبينه.

أم أحمد: أدركت أنهم شمامون، فاستلت سكينا طويلة واستجمعت كل قواها.. بيدك مشرط أيها النذل الصغير تريد تهديدي أنا لا أتهدد سأضربك بهذه السكين إن لم تخرج لن أبيعك آجو حتى لو تموت وسأخبر والدك الآن ومدرستك أذهب هيا.

خرج الشابان وهم يجران أذيال الخيبة وجلست أم أحمد وهي تسترجع أنفاسها، ثم تناولت هاتفها الخلوي واتصلت بالمدرسة مع المدير.

أم احمد:: أنا فاعلة خير أريد لفت انتباهكم إلى طلاب مدرستكم يشمون الآجو.

المدير: يضحك.. ماذا أعمل لهم؟ لستين جهنم.

أم أحمد: أنت الإداري المتعلم تقول هكذا فما بالك بالجاهلين يا حضرة المدير، أريد أن تجيبني على سؤالي ما أسم وزارتكم؟.

المدير: بسيطة أسمها وزارة التربية والتعليم.

أم أحمد: يعني التربية أولاً قبل التعليم.

المدير: يا أختي الله يخليك أنا لست فاضي، ماذا تريدين أن أعمل لهم؟ أنا جاهز.

أم أحمد: يا سيدي أنا أحكي لك المدرسة ليست من أجل تلقين الدروس فقط، ولكن أرجو أن تحضروا مختصين مثل الأطباء وأخصائيين نفسيين تستضيفوهم ليلقوا محاضرات تحذر الطلبة من الشم والمخدرات والشذوذ الجنسي وتوجههم عن طريق مجلات الحائط، واعملوا يا أخي مجلس آباء واجتماع للآباء ولو شهري والفتوا نظرهم لهذه الأمور واكتبوا إلى وزارة التربية لتخصيص وحدات دراسية تتحدث عن هذه الأمور في مناهج الوزارة.

المدير: بخجل.. يا أختي أنت صادقة وأشكرك على لفتت نظرنا لهذه الأمور.

وبينما وهي تتكلم على الهاتف إذ أم عصام تدخل المتجر:

أم عصام: ما بك يا أم أحمد "تعلكي حكي مع مين".

أم أحمد: والله يا أم عصام شي يخليك تحط راسك بين أيديك من هذا الجيل "جيل الله يجيرنا منه" اليوم فتحت المتجر وجدت ابن أبو زهير وابن أبو حسونة جالسين أمام المتجر ......الخ.

أم عصام: تشهق.. أف ..أف، الله يجيرنا ، ابن أبو حسونة والله أبوه محترم وابن ناس هات الهاتف سأجعل أبوه يأتي لعندك هنا.

أم أحمد: معك رقمه يا أم عصام.

أم عصام: نعم، هات.. هات.

أم عصام: أخذت الهاتف النقال واتصلت مع أبو حسونة، أحضر فوراً لمتجر أم أحمد لأمر هام.

أغلقت أم عصام الهاتف النقال وجلست وعدلت جلستها وهي تستعد لاستقبال أبو حسونة، وبعد لحظات حضر أبو حسونة وترجل من سيارته ودخل المتجر.

أبو حسونة: السلام عليكم، خيراً إن شاء الله يا أم عصام.

أم عصام: خير.. من أين سيأتي الخير يا أبو حسونة وابنك حسونة يشم وحالته ما ترضي عدو ولا صديق.

أبو حسونة: نعم يا أم عصام، أعرف ولكن ماذا أفعل؟

أم أحمد: يا أخي لا تعطيه مصروف كثير، يعني لما يكون الله فاتح عليك تقوم أنت تخسر ابنك!.

أبو حسونة: والله يا أختي أم أحمد ما تركت طريقة معه، ولكنه ما ينفع معه فهذه المادة رخيصة ويقدر يوفر من مصروفة مهما كان قليل ويشتريها، والله لو تعرفي في شباب لا يجدون الخبز يأكلوه وثيابهم ممزقة وأرجلهم حافية، ويشتروا هذه الأشياء ويشموا.

أم أحمد: ولكن من أين لهم ثمناً ما دامهم لا يجدون ما يأكلوه أو يلبسوه.

أبو حسونة يا أم أحمد الشغلة صارت كبيرة وتريد علاج أكبر، تصوري أنهم من أجل شراء آجو أصبحوا ينحرفوا جنسياً أو يتركوا المدرسة ويعملوا حتى يحصلوا على هذه المواد.

أم أحمد: ولكن يا أبو حسونة أرسل ابنك إلى المستشفى حتى يعالج من هذا الإدمان وأعرضه على أطباء نفسيين لا بد أن يكون هناك علاج لهذه المشكلة، واذهب إلى ابن أبو صالح الثعبان فهو صحفي ودعه يخصص زاوية للكتابة عن هذه المشكلة واتصل بالتلفزيون واطلب منهم أن يعرضوا مسلسلات تتحدث عن مضار هذه الأمور ويستضيفوا مختصين يتحدثون عن الشم والمخدرات والانحراف الجنسي ومضارهم على المجتمع والشباب، صدقيني يا أم أحمد سأخرج من هنا فوراً إلى الصحفي وبعدها أتصل بالتلفزيون وآخذ ابني للمستشفى حتى أعالجه.. وخرج مسرعاً.

وبينما هما جالستان إذ دخلت امرأة شابة وهي تمسك طفلها البالغ من العمر خمس سنوات، جميلة وراقية في لبسها ومشيتها وطرحت السلام وطلبت من أم أحمد أن تزن لها كيلو أرز وباكيت ماجي وسائل جلي، وبينما أم أحمد تعد الأغراض نظرت إلى أم عصام فإذا بها تضع المنديل على فمها ولأنفها وتدير وجهها إلى الخلف، ونظرت أيضاً إلى المرأة الشابة، فإذا مسحت حزن على وجهها وعيناها منكسرتان إلى الأرض، وتناولت المرأة الشابة الأغراض وذهبت.

أم عصام: تلتفت إلى أم أحمد وترفع المنديل عن فمها وبعصبية.. لا تتعاملي مع هذه المرأة يا أم أحمد ولا تحكي معها بعدين تعديك.

أم أحمد: تعديني.. هل تعاني من مرض معدي؟ ومن هي؟.

أم عصام: هذه ريما بنت محارب.. هي وزوجها تركي مصابين بالإيدز.

أم أحمد: يا لطيف.. يا ربي دخلك، إيدز! وكيف أصابهم؟ وهل يعالجون منه؟ ومن يصرف عليهم؟.

أم عصام: عدلت جلستها وضربت على ركبتها بيدها.. يا ستي هذه ريما غزال مصور، يا ستي مدللة فهي وحيدة بين خمس أخوة شباب، والله لما ترينها وهي ذاهبة إلى الجامعة مثل اللعبة كل يوم تلبس فستان شكل، وكل شاب يعرفها يتمنى أن يتزوجها ولكن الحب أعمى، يا ستي وهي ذاهبة إلى الجامعة في الباص هي راجعة يركب معها تركي ابن زعل وهو يشتغل في أحد المصانع بالمدينة وهو شاب وشخصيته قوية ومنظره حلو ولبسه مرتب، قلب دماغها وحبته وحبها، فتزوجها وعاشوا أحلى أيام العمر وهي تخرجت من الجامعة ولم يأتي دورها في التعيين وحمل وأنجبت ابنه هذا الذي معها وسموه قيس لشدة تعلقهم ببعض ولكن بعد أن كبرت مسؤوليتهم وزادت الأسرة لم يعد الراتب يكفي فاقترحت عليه أن يسافر إلى ألمانيا ليعمل هناك حتى يتمكنوا من بناء بيت بدل البيت المستأجر ويحسّنوا وضعهم حتى يتم تعيينها وتساعد في مصاريف البيت فوافق وذهب إلى هناك.

سافر المسكين إلى ألماني، وبعد مضي عام اتصل بها، وقال لها: أن الدولة الألمانية ستعيده إلى الأردن إذا لم يحصل على إقامة، فقالت له: خذ. فقال: أنهم لا يعطونني الإقامة إلا إذا تزوجت ألمانية، فقالت له: تزوج، وتزوج المسكين وجمع مبلغ من المال وعاد إليها وهو يحمل الهدايا والمال، وعندما جاء إلى

البلد اشترى قطعة أرض وعاش شهراً مع زوجته وابنه بسعادة وهناء، فكل يوم رحلة وكل يوم في مكان، وعاشت شهراً وهي تحس أنها في الجنة وكل نساء القرية صاروا يحسدونها ويطلبن من أزواجهن السفر إلى ألمانيا، ولكنها بعد أن سافر زوجها بفترة قصيرة أصيبت برشح وطفح جلدي.

أخذها أخوها إلى الطبيب فسأله الطبيب: أين زوجها؟ فأخبره أنه في ألمانيا، فطلب منها عمل فحص دم وذهب هو وأخته إلى المختبر وأجرت الفحص اللازم، ولكن النتيجة جاءت مخيبة للآمال، فقد أخبرها الطبيب أنها مصابة بمرض "الإيدز" فانهارت وقاطعها أهلها وإخوانها وجيرانها بعد أن عرفوا بهذا المرض المميت الخطير، فاتصلت بزوجها وعندما حضر فحص هو أيضاً فوجد نفسه يحمل نفس المرض، وعرف أنه السبب في نقل هذا المرض المميت لزوجته فأخذ يلوم نفسه وهي تضع المسؤولية على نفسها، ولكن أدركوا أن لا مناص، وعليهم القبول بالأمر والواقع وبدءوا يعالجون أنفسهم، وأنفق نقوده التي جمعها على العلاج وباع قطعة الأرض التي اشتراها ولا أحد يزورهم ولا يسمحوا لهم بالعمل والتعامل معهم:

أم أحمد: يا أم عصام هل ابنهم مصاب؟.

أم عصام: لا.. إنه غير مصاب، لأن ابنهم جاء قبل أن يسافر تركي إلى ألمانيا، هكذا قال الطبيب.

أم أحمد: طيب أنا معك، لكن الآن أليس قيس ابنهم عايش معهم، لماذا لا يصاب؟ فهو يأكل معهم ويشرب معهم وينام بنفس البيت.

أم عصام: والله يا أختي ما أنا عارفة.

أم أحمد: يعني هذا المرض ما بعدي بالهواء والماء والأكل واللبس والتعامل، هذا المرض معدي بالاتصال الجنسي فقط، وما دام يأخذ علاج فالوضع مسيطر عليه وصحته عال، ويقدر يعمل. والله أبو أحمد محتاج لشاب يشرف على المزرعة ويحرسها، فأبو أحمد مشغول بالوظيفة وسأكلم أبو أحمد ليجعله يعمل عندنا، وسأزور أم قيس وأجعلها تزورنا فمصاب الإيدز لا يعزل فهناك مئات المصابين يعملون ويتعاملون مع الناس ولا أحد يعرف وهم بصحة جيدة منذ عشرات السنين.

أم عصام: هذا رأيك يا أم أحمد.

أم أحمد: رأي الطب، ما أنا شهدت مرة بالتلفزيون رجل مصاب منذ عشرين عاماً وهو يعمل.

أم عصام: بالك.. والله حرام، وأنا أيضاً سأزورهم وآخذ لها معي الذي فيه النصيب وأجعل كل نساء الحارة يزرنها.

وبينما وهما تتحدثان إذ دخلت ابنة أم أحمد أحلام وهي طالبة في الصف العاشر ومسؤولة عن برنامج المدرسة الإذاعي.

أحلام: ماما.. ممكن تعرفي الكلمات التالية حتى أحكيها بالإذاعة المدرسية.

أم أحمد: هات ما عندك.

أحلام: الشجاعة.

أم أحمد: هي مواجهة النفس قبل مواجهة الآخرين.

أحلام: الكذب.

أم أحمد: مفتاح الخطايا.

أحلام: الباطل.

أم أحمد: هو ما تخفينه.
أحلام: الحق.
أم أحمد: هو ما تظهره.
أحلام: النظافة.
أم أحمد: طهارة النفس.
أحلام: السلبية.
أم أحمد: الهروب من المسؤولية وعدم مواجهة الواقع.
أحلام: الإيجابية.

أم أحمد: كل شيء جميل ومفتاحه بيدك ومكانه قلبك وعقلك.

أحلام: تضحك.. أنها تعريفات فلسفية يا أمي، أنها جميلة وستسر المعلمة منها.

وبينما هما كذلك دخل شاب في الخامسة عشرة من عمره يحمل "نيون" كهرباء كان قبل قليل قد اشتراه من عند أم أحمد وقال لها: يا أم أحمد أمي تسلم عليك وتقول لم نعد بحاجة لهذا "النيون" لأن النيون الذي في بيتنا قد أصلح، فأخذت أم أحمد النيون وأخرجته من غطاءه الكرتوني فإذ به قديم محروق، فأدركت أنها تتعرض لعملية نصب واحتيال.

أم أحمد: أتريد أن تنصب عليّ أنت وأمك، لن أرجع لك النقود ثمن النيون، وهذا النيون ليس الذي اشتريته من عندي لقد بدلته بنيون بيتكم.

الشاب: أخذ يكيل الشتائم لأم أحمد، ولكن أم أحمد لم تهتم.

أم أحمد: أخرج.. والله لولا أبوك محترم لأحضرت لك الشرطة بسبب تهجمك وشتمك لي، ولكن سبحان الله النار تخلف رماد.

"خرج الشاب وهو غاضب"

أم أحمد: اجلسي يا ابنتي في المتجر حتى أصل حفيظة، اليوم عرس ابنتها حتى أبارك لها وسأعود سريعاً يا ابنتي إن شاء الله، ساعة زمان وأرجع، ولكن بعد عشرة دقائق عادت أم أحمد ومعها مجموعة من النساء، وجلسن أمام المتجر وشربن الكولا وهن يضربن كفاً بكف ويقلن سبحان الله كيف القدر غير الموازين، والله إن المثل الذي يقول "بالبرزة ولمن تقسم" انه صحيح.

أحلام: تضحك.. ما معنى هذا المثل يا أمي، ما معنى البرزة.

أم أحمد: تضحك.. يعني بلغة اليوم جالسة في "اللوج أو الكوشة" يعني مزينة وجالسة على كرسي يوم عرسها ولمن تقسم، يعني لا نعرف من هو صاحب النصيب الذي سيتزوجها.

أحلام: ماذا حصل يا أمي لابنة حفيظة؟.

أم أحمد: مسكينة شادية بنت حفيظة إخوانها طلبوا من العريس أن يدفع لهم مبلغ ألف دينار، لأنهم كاتبين في ورقة عقد القران أن يحضر لها بمبلغ ألف وخمسمائة دينار ذهب، لبسها يوم العرس خمس مئة، فقالوا لن تأخذها إلى بيتك حتى تحضر الف دينار فكتب لهم شيك بالمبلغ فرفضوا، فطلقها أمام الحضور في الحفلة وأخذ أقاربه والمدعوين إلى بيت جيرانهم حيث صديقتها سارة، واتصل بالمأذون وعقد قرانه عليها دون قيد أو

شرط وزفها إلى بيته وتزوجها وبقيت العروس عند إخوتها وهي تبكي حظها وتلطم وجهها هي وأمها.

وبينما هما تتحدثان إذ دخلت ابنة أم أحمد "نبراس" وهي في الصف الثامن:

نبراس: أمي أريد أن أشارك في مسابقة القصة القصيرة، فقد طلبت منا المعلمة المشاركة في كتابة قصة عن الدفاع المدني الذي سيحتفل بيوم الدفاع المدني العالمي، أرجوك أكتبي لي قصة.

أم أحمد: والله المشاركة لك أنت، ويجب أن تظهري مواهبك أنت وليس أنا، أكتبي وأنا سأوجهك فيما هو صح أو خطأ، لن أكتب لك، والآن.. لا، اجلسي مع أختك في المتجر أريد أن أذهب لأحضر طعام الغداء قبل أن يعود أبوك من الدوام.

نبراس: يعني لست فاضية تساعديني، لكن فاضية كل يوم تجلسي ساعات أنت وأم عصام وتحكوا قصص الناس.

أم عصام: ارتاحي.. أم عصام بنو بيت في اربد وبعد شهر زمان سيرحلون ولن أجد أحد يحكي لي أو أحكي له.

نبراس: لا يا ماما أنت ما شاء الله عليك بسرعة تعملي صاحبات، غداً تجدين غيرها وتصيروا تجيبوا سيرة الناس، وإن رحلت أم عصام كاشفة الأسرار ستأتي بدلاً منها مئة كاشفة الأسرار، يا لو بدل ما تجيبوا بسيرة الناس لو تحكوا عن خالق الناس وتذكروه في مجالسكم وتسبحوه فيذكركم الله فيمن عنده من الملائكة.

أم أحمد: صدقيني يا ابنتي أن ذكر الله يريح القلب والنفس ويسلي الإنسان عن همومه ومتاعبه وأنا دائمة الذكر لله تعالى ولكن هذه حياتنا وواقعنا، لن نستطيع أن لا نفكر فيه.

وبينما هما تتحدثان دخل أحمد المتجر وهو حزين ويحمل جريدة وهو يقول اليوم ٢٠٠٦/١٢/٢٩م وهو ذكرى إعدام الرئيس صدام حسين في العراق، قالها وعيناه تدمعان.. وقرأ الجريدة على مسمع أمه وأخته ما ورد في جريدة الرأي تحت عنوان إعدام صدام نهاية مفجعة لحياة مليئة بالعنف.

دافع صدام عن سياسته التي مارسها في إدارة البلاد كرجل الأمة العربية وأيضاً، من لمستقبل العراق الذي يواجه تحديات إيرانية وأطماع الشركات الأمريكية والذي أراد جعل العراق أكبر قوة إقليمية، إلتف حبل المشنقة حول عنقه في الثلاثين من كانون الأول ٢٠٠٦م يوم عيد الأضحى لينهي حياة الرجل الذي يراه الكثير من شعبه ومن الدول العربية بطلاً قومياً، بينما رأى آخرون أنه مصاب بجنون العظمة، بكت أم أحمد وابنتها نبراس أنه يوم لن أنساه أبداً لأول مرة أرى أبي يبكي وقد رأيت الناس في الشوارع يعزون بعضهم البعض قائلين يرحم الله ما فقدتم وبينما هم يتحدثون إذ سمع أحمد رنين جواله، فعندما نظر في جواله رأى أنه قد جاءته من أحد أصدقائه صورة صدام في لحظاته الأخيرة قد بدا فيها وهو يقف بثبات مرتدياً معطفاً أسود رافضاً وضع غطاءاً على عينيه ويتقدم إلى منصة ألإعدام دون مساعدة وهو يقول الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، تأثر أحمد كثيراً وبكى

أم أحمد: الرجال لا يبكون يا ولدي وصدام هو رجل انتهى عمره، وكما يقول المثل "تعددت الأسباب والموت واحد" سيأتي بدلاً منه ألف قائد.

أحمد: أنا يا أمي لا أبكي على رجل، أنا أبكي على أهلنا وأرضنا وأبناء ديننا في العراق الذي الذين يقتلون من قبل الأمريكان بدواعي كاذبة مفتعلة تحت شعار الديمقراطية.

أم أحمد: إن العرب في كل مكان من الوطن العربي أمة واحد، إن تفرقوا يجمعهم الدم والدين واللغة والمصالح المشتركة، وعلى مر تاريخ الوطن العربي لم يدم له احتلال، فالمقاومون موجودون في كل زمان ومكان سيحمون الأرض والعرض وسيغادر المحتل آجلاً أم عاجلاً، أنظر إلى لبنان كيف حرره حزب الله وهو مجموعة من آلاف المجاهدين وليس دولة ولا نظام ولبنان كما ترى أصغر دولة عربية، وأنظر كيف هزم حزب الله إسرائيل في الحرب التي جرت على أرض لبنان في ١٢/٧/٢٠٠٦م، وهزمهم هزيمة نكراء رغم أن عندهم ترسانة أسلحة نووية "فكم جماعة مؤمنة قليلة غلبت عصبة الكفر".

وبينما هم كذلك إذ دخلت معلمة نبراس وسحبت كرسياً وجلست أمام المتجر وهي تقول اشتقت لك يا أم أحمد، أريد أن أجلس معك قليلاً يا أم أحمد قبل أن أصل البيت، خجلت نبراس من معلمتها وذهبت مع أخيها أحمد إلى البيت وجلست أم أحمد وأم وديع أمام المتجر وأخذن يتجاذبن أطراف الحديث.

أم وديع: لقد كنت في أوقات فراغي أجلس مع أم عصام لكنها رحلت إلى اربد وأوصتني أن أقضي فراغي عندك في المتجر، فجلستك مسلية كما قالت أم عصام، فهل تقبليني مكانها؟.

أم أحمد: تضحك.. نعم نعم، أهلاً وسهلاً المحل محلك تشرفي وتآنسي يا أم وديع، فأنت مربية الأجيال.. أكيد حديثك لا يمل.

وبينما هما جالستان إذ مرت شابة في العقد الثالث من

عمرها أو أكثر قليلاً، باهرة الجمال ترتدي ثوباً مطرزاً بألوان جميلة وشالاً لامعاً ومصاغاً ذهبياً براقاً في عنقها ويدها، فانبهرت أم أحمد بهذه الفتاة وأخذت تنظر إليها حتى بعد أن ابتعدت، وأم وديع تنظر إلى أم أحمد وهي تستهجن نظرات أم أحمد.

أم وديع: شدت أم أحمد من ثوبها.. ما بالك تنظرين إلى هذه الفتاة بكل هذه الدهشة، ألا تعرفينها؟.

أم أحمد: لا والله! لا أعرفها.

أم وديع: تضحك.. من لا يعرف هيام بنت أبو علي وقصتها.

أم أحمد: ألها قصة أيضاً؟

أم وديع: نعم نعم، ألم تلاحظي كم هي جميلة؟ وكم ينفق عليها أهلها ثمن ملابس وذهب من أجل أن تتزوج، ومع ذلك لا أحد يتقدم لخطبتها ولا أحد يقبل الزواج بها من الشباب.

أم أحمد: ولكن لماذا؟ وما عيبها؟

أم وديع: أن عيبها هو أنها تعرضت للاغتصاب.

أم أحمد: بحزن.. يا ربي ما ذنبها تدفع ثمن ذنب لم ترتكبه! لماذا تحرم من أن يكون لها زوج وبيت وأولاد؟ وما حدث لها وليس لها به يد؟.

أم وديع: يا ستي كل شاب تعرض عليه هيام، يقول: غداً أصبح حديث أهل القرية وقصة سمرهم في سهراتهم ومجالسهم، وعندما يراني أحد أو ينادونني سيقول زوج المغتصبة على ألطف الأحوال، إذ لم يقولوا زوج "الـ..) لا.. لا يفتح الله. وقد خطبها أناس غرباء من خارج القرية إلا أن أهل القرية حدثوهم بقصتها فيولوا هاربين.

أم أحمد: تضرب كفاً بكف.. يا الله ما أقسى المجتمع، ما هذه النظرة السيئة للمغتصبة! وما هذا العقاب الصارم لإنسانة بريئة لم ترتكب جرماً، والله لو ابني أحمد كبير لزوجته لها.

أم وديع: يا أم أحمد تريدين تغيير نظرة المجتمع بيوم وليلة، لو حلينا مشكلة هيام فهناك ألف هيام لها نفس المشكلة، فمن يحل مشاكلهن.

أم أحمد: تجلس على الكرسي مقابل أم وديع.. ولكن كيف حصل لها ذلك؟

أم وديع: قصتها قصة طويلة وأنا ليس لدي وقت، أريد أن أعود للبيت فهذا موعد عودة أبنائي من المدرسة والروضة وزوجي من العمل، ومفتاح البيت معي يا أم أحمد، أرجو أن تعذريني ولكن سأعود غداً إن شاء الله بعد صلاة العصر لأحدثك عن قصة هيام.

أم أحمد: شكراً يا أم وديع ومع السلامة وسلامي إلى أولادك.. الله يخليهم لك.

بدأت أم أحمد ترتب أغراض المتجر وحضر الموزع واشترت منه البضائع، ومضى النهار وأم أحمد تعمل وعقلها مشغول بهيام وقصتها، يا ترى كيف حصل لها ذلك.. هل هرب بها سائق سيارة؟ هل زارت صديقة لها فاغتصبها أخ صديقتها؟ هل كانت تعمل في المزارع البعيدة واغتصبها صاحب المزرعة؟ هل أحبت ابن الجيران وخدعها؟ هل اغتصبها تاجر الملابس في غرفة القياس؟، دار في ذهن أم أحمد ألف سؤال وسؤال كيف.. كيف؟ وانتهى اليوم ولم تستطيع أم أحمد النوم واستيقظت من النوم متعبة قلقة والسؤال يرن في أذنها كيف.. كيف تعرضت هيام للاغتصاب؟

ارتدت أم أحمد عباءتها دون أن تتناول فطورها فقد بدا عليها التعب والإرهاق، وذهبت إلى المتجر بعد أن غادر زوجها وأولادها البيت وهي تمشي بخطى ثقيلة، وعندما وصلت فتحت المتجر ونظفته ووضعت الكراسي أمام المتجر وجلست على إحداها وأمامها إبريق الشاي كالمعتاد، ولكن بدا عليها أمارات الحزن والتعب لقد آلمها وضع هيام وكيف تعيش منبوذة مهمشة مسقطة حتى من النساء، تحرم من أبسط حقوقها وهو حصولها على زوج رغم جمالها وأدبها الجم.

ومر النهار طويلاً مملاً ثقيلاً إلى أن جاء وقت العصر، صلت أم أحمد وجلست أمام المتجر تنتظر قدوم أم وديع وهي تلتفت بين الفينة والأخرى إلى الطريق علّها ترى أم وديع قادمة، وما هي إلا دقائق حتى ظهرت أم وديع في الطريق فظهرت بوادر الفرحة والبشاشة على أم أحمد:

أم أحمد: تقف مرحبة بأم وديع.. أهلاً وسهلاً أم وديع تفضلي اجلسي.

أم وديع: تجلس وتتناول ربع دينار من حقيبتها وتعطيه لأم أحمد.. أعطني يا أم أحمد علبة عصير جوافة، أشعر بجفاف في حلقي.

أم أحمد: تناول أم وديع العلبة وترد لها ربع الدينار.. اعتبري علبة العصير عربون صداقة بيننا.

أم وديع: تضحك.. شكراً يا أم أحمد على كرمك. فتحت أم وديع علبة العصير ورشفت منها قليلاً والتفتت إلى أم أحمد.. أنا أعرف أنك متلهفة لسماع قصة هيام المسكينة.

أم أحمد: بلهفة.. نعم نعم، حدثيني هيا.

أم وديع: والد هيام صاحب أرض وأملاك، ولكنه يتعامل مع الدجالين، فهو مقتنع بأن هناك ذهب مرصود بعبد أسود، أو ملك من الجان الأحمر أو أفعى أسود أو قط أسود فهو دائم البحث والتنقيب عن هذه الدفائن، فترة بين الجبال معه حماره المزود بالفأس والشاكوش والأزميل وبعض الطعام ومعه أحد الدجالين المشعوذين تشتم منهم رائحة الدخان والأبخرة بأنواعها، وهو يبيع أرضه قطعة تلو الأخرى، والمحتالين والمشعوذين يطمئنوه بأنه سيفك الرصد قريباً وسيخرج الكنز الذي يعوضه أرضه، وهو يجلس ويحلم دائماً بالكنز، سيشتري بالذهب أراضي كثيرة وبيوت ومخازن وسيؤجرها ويبدأ يعد دخله الشهري إلى أن يتعب وينام، وذات مرة أحضر معه دجال في الأربعين من عمره داهية محنك ومعتد بذاته و "عينه بيضاء" يعني قليل الحياء، وعند قدوم أبو هيام وضيفه لم يكن أحد من أبنائه الذكور في البيت ولم يكن سوى هيام وأخوتها الصغار، فطلب أبوها منها أن تعد لهم إبريقاً من الشاي وكان عمرها ثمانية عشر عاماً وكانت تدرس لتتقدم لامتحان الشهادة الثانوية العامة، كلها أنوثة وحيوية وجميلة كالبدر، بعد أن أعدت الشاي نادت على والدها فقال لها: أدخلي هات الشاي لا يوجد أحد غريب، هذا أبو راضي مثل أبوك فوضعت الشاي أمامهم وهي مطرقة خجلاً، فلعب الشيطان برأس أبو راضي وقرر أن ينال منها، فقد أعجبته كثيراً وانبهر بأنوثتها وجمالها، فأخذ يرشف الشاي ويفكر بخطة يفترس بها هذه الضحية المسكينة أطرق أبو راضي قليلاً:

أبو هيام: اشرب الشاي يا أبو راضي.

أبو راضي: أشار أبو راضي بكل خبث واضعا يده على فمه (أي أصمت) وأخذ أبو راضي يتمتم ببعض الكلمات وأسماء غريبة على أنها أسماء جن دلالة على أنه يكلم الجن.

أبو هيام: يسكت وهو يرتجف.. لأنه يظن أن الجن قد حضره السيد أبو راضي.

(يقاطع الحديث طفلاً يريد حلوى، فقامت م أحمد وأعطته أحد أنواع الحلوى، لكنها لم تعجب الطفل، وأخذ يمسك هذه ويترك تلك وهو يختار على مهله مما أثار حفيظة أم أحمد وأعطته نقوده وقادته خارج المتجر وهي تقول له: ما في عندي حلوى، هيا عد إلى أمك، فبكى الطفل وعاد إلى البيت باكياً).

أم أحمد: هيا أكملي يا أم وديع.

أم وديع: أين وصلت في الحكاية يا أم أحمد لقد نسيت.

أم أحمد: عندما ظن والد هيام أن الجن في حضرة أبو راضي.

أم وديع: آه.. آه، رفع أبو راضي رأسه وهو يقول: ألم تر؟ لقد كانوا يحدثونني.

أبو هيام: هل أتوك بأخبار جديدة؟ وماذا قالوا لك؟.

أبو راضي: (يضحك بخبث).. فرجت وهو يصفق بيديه.

أبو هيام: (يقفز من الفرح) هل سيفك الرصد عن هذا الكنز؟.

أبو راضي: نعم.. نعم، إن ملك الجن الأحمر الذي يحرس الكنز متزوج من ابنتك هذه التي أحضرت لنا الشاي، وهذا الرصد لن يفتح لنا الكنز إلا بعد أن يخرج من ابنتك، فيقودنا ساعتها إلى مكان الكنز، لتحضر ونخرجه، إنه كنز كبير من أيام كسرى هكذا قالوا لي الجن.

أبو هيام: ولكن كيف سنخرجه منها؟.

أبو راضي: يضحك بخبث ولؤم.. لقد علموني كيف أخرجه منها.

أبو هيام: بلهفة.. كيف.. كيف؟.

أبو راضي: بسيطة.. تحضر ألف دينار لأشتري بها بخور هندي وزئبق أحمر وتحضر ابنتك يوم غد بعد صلاة الظهر وتكون في كامل زينتها، طاهرة وعلى وضوء تام، وسأغلق الباب عليها الباب وأتلو عليها التمائم الخاصة بإخراج الجن، وسأضرب الجن ليخرج منها وإن سمعتها تصرخ وتنادي وتبكي فلا تفتح الباب، فهذا الذي يصرخ هو الجن الذي بداخلها، لأنه لا يريد أن يخرج منها، وإياك إياك أن تفتح الباب قبل أن أفتحه أنا.

أبو هيام: يفرح ويمد يده إلى جيبه ويعطيه ألف دينار، ثم غادر أبو راضي.

جاء الغد وصلى والد هيام وصلت هيام وارتدت أحلى ملابسها، وذهب إلى أبو راضي في بيته في عجلون في سيارة والد هيام، سارت السيارة وهيام المسكينة لا تدري ما يخبئ لها القدر، تنظر هيام إلى البساتين الجميلة والجبال العالية وهي فرحة بما حولها، وأخيراً وصل أبو هيام وابنته إلى بيت أبو راضي، ففتح الباب ووجهه يتهلل فرحاً، وأخذ يهلي ويرحب بهيام ووالد هيام (أبو علي).

أبو راضي: تفضل.. تفضل، يا أخوي يا أبو علي، أنت العزيز الغالي.

(دخل الجميع إلى داخل البيت، فلم يروا أحداً في البيت)

أبو علي: يا أبو راضي.. لا أرى أحداً في بيتك! أين زوجتك وأولادك؟.

أبو راضي: أرسلتهم لبيت جدهم في "عين جنة" قرية من قرى عجلون، اجلسوا حتى أحضر لكم كأساً من الشاي.

أبو علي: لا.. لا، اعمل شغلك نحن مستعجلين، وأنت معذور فزوجتك وأهلك غير موجودين.

أبو راضي: على رأيك يا أبو علي، خير البر عاجله، هيا يا هيام أدخلي تلك الغرفة ولا تخافي، وأنت يا أبو راضي مهما سمعت لا تدخل.

أبو علي: لكن يا أخي أبو راضي هل هيام تظل بخير، يعني ما يؤذيها الجن الأحمر.

أبو راضي: لا.. لا يا أبو علي "حط ببطنك بطيخة صيفي وارتاح" ما راح يصير إلا الذي يرضيك.

أبوعلي: يطمئن.. أدخلي يا ابنتي "الله معك".

دخل أبو راضي وراءها وأغلق الباب بالمفتاح وأشعل البخور وخلع ملابسه وهجم على هيام، وأخذ ينتزع ملابسها ويضربها وهي تصرخ وتصيح، تطلب النجدة من أبيها ولكن لا حياة لمن تنادي، فاغتصبها. وبعد أن أتم فعلته "الشنيعة" استدار إليها قائلاً هيا ارتدي ملابسك كأن شيئاً لم يحصل، وإياك أن تقولي لأبيك، سأجعل الجن يسخطوك، وأصلا لن تستفيدي إلا الفضيحة، فاعملي كما يقول المثل "غلب بستيرة ولا غلب بفضيحة" أكتمي السر أحسن لك.

(وبعد ذلك فتح الباب وخرج أبو راضي).

أبو راضي: هيا أخرجي إلى أبيك.. يا أبو علي ستكون ابنتك بخير، ستبقى هكذا تهذي وتقول أشياء ليس لها معنى لمدة ثلاثة أيام، ثم تتعافى وتنسى كل ما حصل، أنها مرعوبة من منظر الجن عندما خرج منها.

هيام: يا أبي أنه يكذب، لقد اغتصبني يا أبي.

أبو راضي: يضحك بخبث.. لا تسمع كلامها، هذا من تأثير الجن، وبعد ثلاثة أيام تعود لنذهب إلى مكان الكنز الذي قد يكون الجن حدد لنا، فركب أبو علي سيارته ومعه ابنته هيام متعبة ذابلة، وعاد إلى بيته وهو يحدث نفسه بالذهب ومجوهرات كسرى، وابنته تئن وتبكي وهو لا يحس بوجودها مطمئناً نفسه بأنها بعد ثلاثة أيام ستعود لما كانت.

وعندما وصل البيت لم تستطيع هيام المشي فقد كانت خائرة القوى دامعة العينين منكوشة الشعر، فركضت أمها إلى السيارة وهي تصرخ، ماذا حصل لهيام؟ ما بها؟. فأشار أبو علي اصمتي.. أصمتي لا شيء، فقد أخرج الشيخ الجن منها، وقال أنها ستبقى متعبة لمدة ثلاثة أيام، تعود بعد ذلك هيام المرحة النشيطة، لا تخافي يا أم علي.

أخذت أم علي ابنتها إلى الداخل وسألت ابنتها عما حصل، فحدثتها هيام بكل ما جرى من ذلك الشيخ الدجال، وبذكاء الأم وفطنتها وخبرتها، كشفت على ابنتها فعرفت بالأمر وتأكدت أن ابنتها تعرضت لجريمة اغتصاب، فنادت ابنها البكر وحدثته بما جرى، فأراد أن يشتكي، فقالت له أمه: لا نريد فضائح وإشاعات، أريد منك أن تذهب إلى الشيخ وترجوه أن يتزوجها ويستر عليها لمدة شهر أو شهرين ثم يطلقها.

ذهب علي شقيق هيام إلى الشيخ الدجال أبو راضي وعرض عليه ما قالته له أمه، لكن الشيخ أنكر ما حصل وأنه لا علم له بما حصل. وقال له: أنني لم ألمس أختك.. وأختك ليست عذراء وهي ساقطة وأن الجن يتزوجونها لأنها قد صاحبتهم.

عاد علي إلى أمه وحدثها بما حصل وأن الشيخ لا يقبل الستيرة على أختي، وأنا لن أضيع حق أختي، سأشتكي على هذا

الدجال، وذهب إلى مركز الشرطة وقدم شكوى ضد أبو راضي الدجال، واستدعت الشرطة جميع الأطراف المشتكي والمشتكى عليه وأبو علي وهيام وتم فحص الفتاه والرجل، وتبين صدق أقوالها، فحبس أبو راضي عن ذمة التحقيق، وحددت جلسه للحكم في القضية، وعاد علي إلى البيت، وأخبر أباه وأخته وأمه بأنه قد تم تحديد جلسة النطق بالحكم وسماع الشهود يوم الأربعاء في الأسبوع القادم، وعليك يا هيام الاستعداد أنت وأبي للإدلاء بشهاداتكم في القضية.

ظل أبو علي صامتاً طوال الوقت يعاني من عذاب الضمير، وبين الفينة والفينة يضرب كفاً بكف ويقول: أنا السبب.. أنا السبب، الكلب أبو راضي سرق مالي وهتك عرض ابنتي، وقد كان بمثابة الأخ والصديق الصدوق الذي آمنته على عرضي ومالي، فخانني. ثم صمت طويلاً ولا أحد يعرف ماذا سيفعل، وظل هكذا إلى صبيحة يوم الأربعاء، فاستيقظ مبكراً وذهب إلى مغارة قرب الدار وأخرج منها شيئاً ووضعه في جيبه والتفت إلى ابنه:

أبو علي: اركب السيارة أنت وأختك وأمك واذهبوا إلى المحكمة.

علي: وأنت يا أبي؟.

أبو علي: سألحق بكم بعد قليل، عندي مشوار ضروري أقضيه وألحق بكم.

علي: لكن يا أبي ..

أبو علي: يقاطع ابنه بحدة وصرامة.. نفذ ما أقوله لك وسألحق بكم.. هيّا ...

علي: يقود السيارة ويفكر.. ماذا يدور في خلد أبيه؟ ماذا سيفعل؟ لم لا يأتي معنا! ولم هذه الحدة في نظرة عينيه!.

وبينما أم أحمد وأم وديع تتحدثان إذ دخل مراقب الصحة ليكشف على أغراض المتجر.

مراقب الصحة: لو سمحت رخصة المتجر.

أم أحمد: قامت أم أحمد تتأفف وأحضرت له الرخصة.. أما البضاعة فهي أمامك إذا وجدت شيئاً منتهي الصلاحية خالفني واعمل إجراءاتك القانونية.

مراقب الصحة: ينظر إلى البضائع المبسوطة على الطاولة ويمسك عدة حبات من البسكويت ويقرأ تاريخ الانتهاء والإنتاج، فلم يجد ما يخالف، ثم اتجه إلى سلة "الشيبس" وأيضاً قرأ تاريخ المنتج، فلم يجد ما يخالف.. لا داعي لأن أضيع وقتي ووقتك، فأنت امرأة متعلمة وتخافي ربنا، عمري ما لقيت عندك شيء منتهي الصلاحية أو فاسد.

أم أحمد: الحمد لله "الذي يؤذي الناس الله يؤذيه" وكما أن المنتج الفاسد أو منتهي الصلاحية يضر من يشتريه ويضرني، إما بالغرامة أو بالسجن أو إغلاق المتجر، فالمثل ما خلى شيء وما قاله "ابعد عن الشر وغني له".

أم وديع: تضحك.. هذه أغنية "ابعد عن الحب وغني له وان فات عليك إياك تنادي له".

أم أحمد: تضحك.. يا ستي هذا الذي جرى على لساني. ثم جلست.. لقد انصرف مراقب الصحة، هيا أكملي.. أكملي، على ماذا كان ناوي أبو علي؟.

أم وديع: علي وأمه وأخته ذهبوا إلى المحكمة، وأبو علي كان وأضع المسدس في جيب بنطاله، وبدأ يقطع ملابسه حتى

يظهر نفسه كالمجنون أو الشحات، واشترى حبات فلافل وقطعة خبز واستأجر سيارة إلى باب المحكمة وجلس هناك أمام المحكمة على هيئة عجوز مسكين، وضع أبو علي حبات الفلافل والخبز وعيناه ترقبان قدوم أبو راضي مع الشرطة إلى المحكمة ويده تتحسس زناد المسدس بين الفينة والأخرى، وما هي إلا لحظات حتى حضر أبو راضي مصفد اليدين بين اثنين من رجال الشرطة إلى المحكمة، قفز أبو علي من مكانه ووضع المسدس بين عيني أبو راضي وأفرغ تسعة رصاصات في رأسه وهو بين يدي الشرطة حيث وقفوا مذهولين لمنظر أبو علي الذي يوحي بهبله وبأنه مسكين، ثم ألقى مسدسه على الأرض وسلم نفسه للشرطة وهو يقول هيا الآن قيدني وأدخلني إلى المحكمة لأحكي لهم قصة الذهب المرصود وعقلي وقلبي المسدود، وسأقول له أقتلني أسجني فأنا أستحق كل شيء، فأنا.. فأنا السبب في تدمير ابنتي حبيبتي، ودخل المحكمة والقيود بيديه واحتضن ابنته باكياً، سامحيني يا ابنتي ... سامحيني، فأنا السبب ولكن وأنا أبوك.. أخذت بحقك من هذا النذل وأنهيت حياته، قتلته.. قتلته.. لئلا يحطم غيرك يا ابنتي، أنه يستحق.. أنه يستحق الموت النذل الغادر.. كان يقول لي يا أخي.

سكتت أم وديع وأم أحمد مشدودة عن الحديث.

أم أحمد: وبعدين.

أم وديع: حكموا على أبو علي بالسجن سبع سنوات قضى نصفها ثم خرج لحسن السيرة والسلوك، وهو الآن لا يغادر البيت، وهيام ابنته المدللة لا يدري كيف يكّفر عن ذنبه فهي طلباتها أوامر ولكن ما يمزق قلبه ويعذبه هو عندما يرى أولاد أخواتها وأولاد أخوانها وهي تراعيهم. فيقول: ليتني أستطيع أن

أزوجها.. والله لو يشترى الزوج لاشتريته لها حتى تصبح أم مثل أخواتها.

أم أحمد: يا أم وديع هل هيام أكملت تعليمها.

أم وديع: المسكينة لما رجعت إلى المدرسة بعد حادثة الاغتصاب، صارت كل الطالبات والمعلمات وحتى المارة في الطريق يشيرون إليها بالبنان، البنت المغتصبة، لذلك آثرت الانزواء في البيت حتى الموت.

أم وديع: قامت.. بخاطرك يا أم أحمد، أرجع عندك إن شاء الله عندما أكون فاضية وما عندي شغل.

أم أحمد: مع السلامة.. لا تطولي علي الغياب.

وبينما هما كذلك دخلت جارتها أم سليمان لتشتري بعض الأغراض للبيت وكانت حزينة مكفهرة الوجه، ووجهها مليء بالكدمات وحول عينيها مزّرق .

أم أحمد: ما بك يا أم سليمان.. ما هذا الذي في وجهك؟.

أم سليمان: تطأطئ رأسها حزنا وألماً.. لا شيء لقد سقطت عن درجات البيت.

أم وديع: تنظر إليها وتمسك بها من كتفها.. لا، لا هذا ليس سقوط من على الدرجات لا بد أن أحدا ضربك، أليس زوجك اللئيم؟ أنه هو، لماذا تنكرين؟.

أم سليمان: تجهش بالبكاء.. نعم أنه هو.

أم أحمد: تصرخ بها.. ولماذا تسكتين له؟ لما لا تشتكي عليه، الدولة فيها قانون وفيها منظمة حقوق الأسرة ستساعدك.

أم سليمان: أذا اشتكيت عليه سيسألونني لماذا ضربك؟، وأنني والله أخجل أن أقول لهم، أو حتى أقول لأهلي.

أم وديع: وما هذا السبب المخجل يا أم سليمان؟، قولي لنا علنا نستطيع مساعدتك وكل عقدة ولها حل، ترددت قليلاً ثم رفعت رأسها.. أنها مسألة الفراش، إذا نمت بجانبه ومازحته طردني وبصق بوجهي، وقال لي: نامي في فراشك، وعندما احتاجك سأناديك لفراشي، وإذا التزمت فراشي لمدة من الزمن يأتي إليّ ويضربني قائلاً: شايفه نفسك عليّ يا كلبه يا حقيرة ومتكبرة عليّ، فلا تكلفي خاطرك بأن تأتي لفراشي وتطلبي معاشرتي، ويضربني، وإذا قلت له: أنت طلبت ذلك، ضربني وقال لي: لسانك طويل بالجواب ووقحة ويضربني، وبعد ذلك يعاشرني.

أم أحمد: هذا شيء لا يحتمل يا أم سليمان، يجب أن تطلبي الطلاق.

أم سليمان: حاولت يا أختي يا أم أحمد، حاولت كثير، لكن ما في فايدة، إن لي منه أبناء صغار يهددني بأنه سيحرمني منهم ويقول: إذا أخذتهم عن طريق المحكمة فأنه سيقتلني ويقتلهم ويقتل نفسه، وعندما أقول له دعنا نعيش بسلام، لماذا المشاكل؟ أختصر الشر. فيقول: أنا هيك الله خلقني وما في قوة بالدنيا تغيرني، الذي يريد العيشة معي يجب أن يتحملني.

أم وديع: لا بد أنه مجرد كلام، لا تخافي واذهبي الى المحكمة واشتكي عليه.

أم سليمان: أنني أحس أن زوجي غير طبيعي، وبأن لديه مرض نفسي، لكنه لا يعترف، وعندما أطلب منه المعالجة يقول: آه . . تريدين أن تعمليني مجنون من أجل أن تأخذي الأولاد والبيت وترميني في مستشفى المجانين، ويخلى لك الجو، ويقوم بضربي مجدداً، أنه لا يعترف بأنه مريض، وأنا زوجته وعايشه

معه لي مدة طويلة وأعرفه بأنه يعملها، بكت أم سليمان.. والله ما لي غير الصبر.

أم أحمد: والله شيء غريب وطريق مسدود، فعلاً ما لك إلا الصبر والتوجه الى رب العالمين، والشكوى له، فقد قال تعالى: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله".

أم وديع: ما في مشكلة إلا ولها حل، اذهبي إلى بيت أهلك، ربما يضعون له حد.

أم سليمان: انهارت بالبكاء.

وأثناء ذلك دخل رجل يريد بكيت دخان.

أم أحمد: هس.. هس.. امسحي دموعك لقد دخل رجل المتجر.

أم سليمان: تمسح دموعها، وصمتت.

ناولت أم أحمد بكيت الدخان للرجل وناولها الثمن وشكرها ثم خرج.

أم وديع: لماذا لا تذهبين لأهلك.

أم سليمان: تنظر إلى أم وديع بعيون ملؤها الحزن.. أنا يا أم وديع حالي ينطبق عليه المثل القائل "وين ما رحتي يا فولة مأكولة".

أم وديع: تبتسم.. وكيف؟.

أم سليمان: تتنهد.. أهلي يا أختي غضبانين مني، لأني أخذت ميراثي الذي قرره لي القاضي بعد وفات أبي، حيث كنت الوحيدة من أخواتي البنات التي شاركت بالميراث، فأخواتي تنازلن عن الإرث لإخوتي الذكور، حيث أن حالهم المادي ميسور، أما أنا فوضعي المادي سيء، حيث كنت اسكن في بيت

مستأجر وزوجي عامل مياومة، فبعض الأيام يعمل بثلاثة دنانير وبعضها بخمسة دنانير وبعضها لا يعمل، لان عمل المياومة ليس متوفر دائما ولدي عائلة مكونة من خمسة أطفال، فمن أين لي بطعامهم وشرابهم، فكنا نعيش بضيق شديد بينما إخوتي الذكور يعيشون ببحبوحة من العيش، حيث غلة الأرض وأجرة المخازن ورواتبهم العالية، لأنهم يحملون شهادات عالية ونحن البنات لم نتعلم، فأخذت حصتي وبعتها وبنيت بيتاً صغيراً يأويني أنا وأولادي وزوجي، وفتحت له محل ملابس في المدينة، والحمد لله أصبح لديه دخل محترم وله زبائن في المدينة والقرية، فهو حلو اللسان وسيم.

أم أحمد: تهز رأسها.. إذا عرف السبب بطل العجب، قد يكون زوجك عاشقاً لإحدى زبائن المحل وهو يفتعل المشاكل ليهجرك وتبقي خادمة لأولاده بينما هو يتزوج أخرى.

أم سليمان: ولماذا يفعل هذا؟، وقد عاديت أهلي من أجله، وبنيت له بيت وفتحت محل وأنجبت له بنات وبنين، ولم أقصر معه أبداً.

أم وديع: هو البيت الذي بنيتيه باسمه واسمك.

أم سليمان: باسمه فقط.

أم أحمد: ولماذا باسمه؟، وماله.. ورثتك.

أم سليمان: لقد كان لطيفاً معي، وقال لي لا يهم باسمي أو باسمك، هو أنا أين سأذهب، وهو كله لأولادنا وليس بيننا رزق مقسوم، وعندما يكثر الخير عليّ سأدللك وأعيشك أحلى عيشة، قلت في نفسي هل سيجد أحسن مني؟، فأنا حلوة وجميلة

وصغيرة ولي منه أولاد وبنات، ولطيفة معه، وأعطيته كل ما أملك، فلماذا سيتركني ويذهب لغيري!.

أم أحمد: يا ستي تعوضي الله، ووكلي أمورك لله، بالقانون لن تأخذي منه شيء، لأن القانون لا يحمي المغفلين.

أم سليمان: مغفلين.. أنا م.. غ.. ف.. ل لما أكون عايشه معه في نفس البيت، وآكل معه في نفس الصحن وأنام معه تحت لحاف واحد، كيف سأكون حذرة منه؟ أنا أحس أنه جزء مني، فلماذا لا يحس هو كذلك؟ "أمين وخائن بنفس الوقت ما بصير" ما أتوقع منه الغدر أبداً، حتى بعد كل الذي صار منه معي، أنا لا أشك في أنه يخونني أو يتزوج غيري أبداً، أنا أحبه ولم أسيء إليه أبداً.

وبينما هما كذلك إذ دخل ابن أم أحمد وهو طالب جامعي، حيث كان عائداً لتوه من الجامعة القريبة من محل أبو سليمان، ودخل المتجر ثم ألقى التحية:

أحمد: أم سليمان، أنت هنا!.

أم سليمان: وأين سأكون؟.

أحمد: ألا تعلمي ما حصل لأبو سليمان؟.

أم سليمان: تصرخ.. واويلاه.. واحسرتاه، زوجي.. زوجي، ماذا حصل له؟.

أحمد: مات.. ضربته سيارة.

أم سليمان: تلطم على وجهها.

أحمد: لا.. لا يا خالة، لقد مررت على محله فوجدته مغلقاً، ومكتوب عليه "المحل مغلق لمدة أسبوع، صاحب المحل في إجازة شهر العسل".

أم وديع: صدق المثل القائل " يا مأمنه للرجال، يا مأمنه للمية بالغربال".

أم أحمد: يا أم وديع ساعديني، لقد أغمي على أم سليمان، هات ماء.. هات كولونيا، هيا يا أحمد أحضر سيارة وخذها للمستشفى.

أحمد: بذهول.. لقد ضننت بأنها تعرف، لم أكن أقصد يا أمي. ركض أحمد إلى الشارع القريب وأحضر سيارة ونقلوها إلى المستشفى قريب وأدخلوها قسم الطوارئ.

الطبيب: بعد أن فحصها.. العوض بوجه الكريم، "إنا لله وإنا له راجعون"، لقد ماتت، وصلت المستشفى وهي متوفاة.

أم أحمد: بل قل مقتولة.

الطبيب: بدهشة واستغراب.. مقتولة! إذن سأبلغ الشرطة لكي يأخذ القانون مجراه، وتحول الجثة إلى التشريح، رفع سماعة الهاتف.

أم أحمد: تأخذ السماعة من يد الطبيب وتضعها على الهاتف.. يا حضرة الطبيب هذا النوع من القتل لا يعاقب عليه القانون، فقد قتلها زوجها بالغدر والخيانة، فالمقتول هنا لا يأخذ دية ولا يستطيع أحد أن يعوض صغارها شيئاً عنها، سيعيشون حياة الذل والمهانة دون أدنى حق عند زوجة الأب، بالإضافة إلى ضياع حقهم في ورثة أمهم الذي استولى عليها والدهم. لا أحد يدفع الثمن سوى أولادها.

اليوم ٢٠٠٦/١١/٧م نزلت أم احمد ملتفة بعباءتها السوداء إلى متجرها وفتحت الباب، ثم بدأت بترتيب بعض البضائع ووضعتها على الرفوف، ثم مدت يدها إلى الريموت وضغطت على الزر ففتح التلفاز على قناة الجزيرة حيث كانت نشرة

الأخبار المفصلة عن نتائج الانتخابات الرئاسية لأمريكا، فرأت المرشح حسين أوباما يتصدر الأخبار بفوزه الساحق على المرشح الجمهوري "مكّين" فصرخت أم أحمد فرحاً شديداً، وصفقت وهي تقول الحمد لله الذي ولى عهد السفاح بوش التتري الذي دمر العالم ودمر اقتصاد أمريكا، أخذت تتابع الأخبار بفرح غامر وعلامات البشاشة ظاهرة على قسمات وجهها، وبينما هي كذلك دخل الطبيب سمير ليشري علبة حلوى لكنها لم تشعر بوجوده فناداها بصوت عال، أم أحمد ما الذي يشغلك عن المتجر، أريد أن أشتري علبة حلوى. أم أحمد: عفواً ومدت يدها إلى علبة سجائر وناولتها إياه.

الطبيب سمير: يا أم أحمد أنت تعرفين بأنني لا أدخن، وأرفع شعار على باب عيادتي يقول " زيارتكم تسرنا وسيجارتكم تضرنا فلا تفسدوا الزيارة بالسيجارة".

أم أحمد: تضحك.. آسفة ماذا تريد؟.

الطبيب سمير: مرة أخرى حلوى.. علبة حلوى فضحكت وناولته عبلة الحلوى ..

أم أحمد: خيراً إن شاء الله أيوجد عندكم مناسبة سعيدة.

الطبيب سمير: نعم.. لقد أصبحت رئيس قسم الجراحة في المستشفى.

أم أحمد: مبروك.. مبروك إنك تستحق كل خير.

الطبيب سمير: بارك الله فيك، أراك مشدودة إلى الشاشة فما هذه الأخبار التي تشد انتباهك لهذه الدرجة.

أم أحمد: إنه فوز "باراك أوباما" الأسود، إنها نقلة نوعية في أمريكا، لأول مرة في تاريخ أمريكا يفوز رئيس أسود،

فأرجو أن يغير التاريخ وأنني فرحة لأنه ولى عهد بوش مدمر التاريخ والحضارات وهادم الاقتصاد.

الطبيب سمير: نعم.. نعم يا أم أحمد، لقد كان نقطة سوداء في التاريخ الحديث فقد كانت فترة حكمه لعنة على العالم فها قد دمر العراق وأفغانستان وسبب الاقتتال في الصومال والسودان وأذكى نار الفتنة في لبنان ومصر وشجع الطغيان الإسرائيلي لقتل الفلسطينيين ومصادرة أراضيهم واخترع مصطلح لم يكن موجوداً وهو دول محور الشر كوريا وسوريا وإيران، فقد كانوا دائم التحرش بهذه الدول لاستفزازها.

أم أحمد: وهناك مصطلح آخر اخترعه بوش وهو محاربته الإرهاب، أليس هو الذي اخترع الإرهاب بكامله فإن محاربته للعالم واحتلال أراضيهم والسيطرة على اقتصادها هو الذي جعل العالم يعادي أمريكا ويهدد أمنها في كل العالم، إن الدول التي احتلتها أمريكا أو شجعت على احتلالها أو سيطرت على اقتصادها تريد أن تدافع عن كرامتها وشرفها ووجودها بكل الطرق ومنها المقاومة.

الطبيب سمير: والله لا أعلم ماذا نسمي قتالها للعالم واحتلال أراضيه ، إذا كانت تسمي مقاومة الشعب الفلسطيني واللبناني للاحتلال الصهيوني إرهاب، فها هي تصنف حزب الله في لبنان تحت مسمى الإرهاب، وكذلك منظمة حماس التي تدافع عن الفلسطينيين صنفتها مع الإرهاب ودفاع المقاومين العراقيين بشتى مسمياتهم إرهاب، لتجد لها منفذاً أمام العالم لاحتلال الدول النفطية والسيطرة عليها وعلى أفغانستان لحماية أنابيب النفط.

أم أحمد: إن الشعوب أصبحت على وعي كاف الغث والسمين، فإن ألاعيب بوش مكشوفة للعالم الحر المثقف فقد أصبح العالم قرية صغيرة تستطيع معرفة ما يدور فيه على

شاشة صغيرة عبر الإنترنت والقنوات الفضائية، وآمل أن يكون أوباما كما صوره المحللون السياسيين بأنه صانع التاريخ فقد سمعت جزءاً من خطابه بأنه سيحارب من يحارب أمريكا وسيساعد من يريد السلام وإنه سيعمل على رفع اقتصاد أمريكا والعالم بنشر الأمن في العالم، ربما سيعيد ثقة العالم بأمريكا الحرة الديمقراطية.

الطبيب سمير: نعم.. ربما فقد سمعت بأن أمه مسيحية وأبوه وجده من أصول أفريقية مسلمة، وأن في أمريكا يوجد ما يقارب ثمانية ملايين مسلم من شتى الأصول والمنابت العرقية المختلفة، ولكن أرجو أن لا نبني آمالاً كبيرة على سياسته حتى نرى ما سيفعل ولكننا نتفاءل خيراً إن شاء الله.

أم أحمد: تخفض عينيها وهي تفكر بشدة.

الطبيب سمير: ما بالك يا أم أحمد، أنني أشعر بتعب شديد في عيني.

الطبيب سمير: تعالي اليوم إلى طبيب العيون في المستشفى معاذ بن جبل، فقد أصبح لدينا أجهزة متطورة في كل التخصصات، ولدينا كادر طبي متميز، فإن جلالة الملك عبد الله الثاني حفظه الله تابع تطوير هذا المستشفى بنفسه، فقد زارنا الأسبوع الماضي وتفقد كل الأقسام وأعطى توجيهاته السامية.

وبينما هما تتحدثان دخل الأستاذ محمود وطرح السلام واشترك في الحديث.

الأستاذ محمود: ليس فقط قطاع الصحة المستهدف من الزيارة، فقد كانت شاملة، فقد افتتح مدرسة جديدة في لواء الأغوار الشمالية، مدرسة حديثة متطورة . وأيضاً خص القطاع

الزراعـي بالإيعـاز لـوزارة بعمـل مشـاريع اقتصـادية لمسـاعدة المزارعين وتنشيط الحركة الزراعية.

الطبيب سمير: ينظر في ساعته.. لقد تـأخرت عن دوامـي، ثـم التفـت إلـى الأسـتاذ محمـود.. هيـا اركـب معـي فـي السـيارة سأوصلك إلـى مدرستك فهي فـي طريقـي، حمل الحلوى وذهب الطبيب سمير والأستاذ محمود.

وبقيت أم أحمد تتابع الأحداث على شاشة التلفاز، وبينما هي جالسة دخلت امرأة طويلة سمراء نحيلة في الخمسين من عمرها ترتدي ملابس فاخرة وطرحت السلام على أم أحمد وطلبت منها بعض المكسرات وعلب حلوى وبعض المثلجات.

أم أحمد: خيراً إن شاء الله يا أم محمود، هل تخرج زيد من الجامعة؟ أم أنك خطبت لسعد؟.

أم محمود: (تبتسم والفرحة بادية على وجهها لا تستطيع إخفائها)، لا يا أم أحمد سيعود زوجي للوطن ولن يسافر إلى أمريكا مرة أخرى، فقد تزوج ابني محمود بعد أن عمل مهندساً في شركة الكهرباء، وتخرج سعد طبيباً وهو يعمل في المستشفى كما تعلمين، ومها تعمل معلمة في مدرسة البنات الثانوية وهي متزوجة، ولم يبقى سوى زيد في الجامعة، وسيتخرج بعد شهرين وسنفتح له صيدلية، فقد انتهى السبب الذي من أجله سافر زوجي، وهو تعليم الأولاد، وسيعود يا أم أحمد ونقضي ما بقي لنا من عمر سوياً.. يكفي غربة وبعد، لقد مرت عليّ أيام أمر من الدفلى، لقد حضن وسادتي وذرفت عليها أحر الدموع وكانت نبضات قلبي تتقطع شوقاً وحنيناً ولهفة للقاء زوجي والعيش معه وتمنيت لو يشاركني تربية أبنائي، وأنت تعرفين كم

تعبت في زراعة البيارة وبناء البيت وتدريس الأولاد، فقد كنت الأم والأب معاً، والآن آن الأوان كي أرتاح.

أم أحمد: تبتسم.. الله يهنيك يا أم محمود ويرجعه لك بالسلامة.

أم محمود: آمين يا رب.. سيصل زوجي ليلاً، وغداً سأعمل غداءً للجيران والأهل والأحبة كي يشاركوني فرحتي، وأرجو أن تأتي لتناول طعام الغداء معنا يا أم أحمد.

أم أحمد: إن شاء الله سآتي.

ذهبت أم محمود وهي تحمل الأغراض فرحة مسرورة، وقامت أم أحمد وأقفلت المتجر ودخلت إلى بيتها وغيرت ملابسها ثم وقفت على الشارع وأشارت للباص ثم صعدت وجلست على كرسي قرب الباب، وإذا بامرأة تلوح بيدها للباص، فتوقف الباص وصعدت امرأة متعبة منهكة تحمل طفلاً صغيراً في حضنها وحقيبة منتفخة على كتفها وتمسك بيدها الأخرى طفلة بعمر ثلاثة سنوات والطفلة تصرخ وتبكي تريد من أمها أن تحملها، فقام رجل يرتدي ملابس عسكرية يجلس قرب الباب وأمسك بيد الطفلة وأجلسها على الكرسي، ونظر إلى الركاب ثم قال: يقولون عنا نحن العسكريون مجاهدون، والله هؤلاء النسوة هن المجاهدات، فهذه معلمة كل يوم تحمل أطفالها معها قي الذهاب والإياب من المدرسة.

أطرقت المعلمة خجلا ولاذت بالصمت، ولسان حالها يقول: آه.. لو يعلمون كم ينتظرني من مسؤوليات في البيت من "طبخ وكوي وغسيل وشطف وغيره" وكله كوم ورضى زوجي كوم، فهو لا يريدني أشكي أو أتذمر ولا حتى يريد أن يرى على وجهي أي إشارات أو علامات تدل على التعب، بل يريدني

دائماً حاضرة لجميع طلباته، ويريدني ضاحكة فرحة، وأقول له حاضر فقط. وفي المدرسة يريد مني الطلبة أن أكون دائماً جاهزة للإجابة عن أسئلتهم، والمديرة كذلك والمشرفين يريدون أن أقول لهم حاضر.. حاضر.

وبينما هي تحتضن أطفالها وحقيبتها المنتفخة إذ بهاتفها النقال يرن، فمدت يداً مرتجفة إلى حقيبتها وأخرجت الهاتف ونظرت فيه برهة وقد اصفر وجهها وارتعدت فرائصها، ثم ردت بصوت مرتجف.. ألو، نعم، هآنذا قادمة سأحضر فوراً، وأحضر لك طعام الغداء أنت والأولاد، ثم أردفت قائلة والله لم أتأخر في المدرسة، فأنا منذ نصف ساعة أقف على الشارع، ولكن الباص هو الذي تأخر عن موعده، لا أعلم لماذا؟ ثم أغلقت الهاتف ووضعته في الحقيبة وقد تغير وجهها، وحسبت ألف حساب وظهر على وجهها علامات الخوف.

أم أحمد: في ما حدا راضي بنصيبه، بدل ما يحمد الله على هذه الزوجة الصالحة التي تشاطره المسؤولية، يصرخ ويسب ويهدد على شيئ ليس لها فيه يد.

وقف الباص بالموقف وذهبت أم أحمد للمستشفى لمعالجة عيونها، وبعد ذلك عادت إلى البيت وأعدت طعام الغداء لزوجها وأولادها، وبينما هم يتناولون طعام الغداء إذ بالجامع يخبر عن موت أبو مسعود.

أم أحمد: إنه جارنا العجوز المقعد منذ خمس سنوات، لقد ارتاح إذا كان في الموت راحة، فقد عاش عمراً طويلاً، إنه يناهز التسعين عاماً، أليس كذلك يا أبو أحمد؟

أبو أحمد: نعم يا أم أحمد ، ولكن هالمسكينة زوجته التي أصبحت أرملة وهي في الخامسة والثلاثين من عمرها.

أم أحمد: هو بالنسبة لها ميت منذ عشرة سنوات تقريباً، فهو منذ عشرة سنوات يعاني من أمراض عدة، وهي التي تعمل بالمزرعة لوحدها بالإضافة للعناية به.

أبو أحمد: نصيبها، البركة بأولادها فقد أنجبت أولاد نشامى، فهذا ابنها الكبير يدرس بالجامعة وهو متفوق.

أم أحمد: التفتت أم أحمد إلى أبنائها.. سأذهب أنا وأبوكم إلى بيت العزاء لنقوم بالواجب، ثم التفتت أم أحمد إلى بناتها نبراس وأحلام.. بعد أن تنهيا واجباتكن المدرسية أعدا طعام العشاء.

نبراس: أريد أن أجلس في المتجر يا أمي، دعي أحلام تعد العشاء لوحدها.

أم أحمد: لا.. لا أريد أن تجلسي في المتجر، فأنت صغير، اذهبي وساعدي أختك في المطبخ.

ثم اتجهت أم أحمد إلى بيت العزاء الخاص بالنساء واتجه أبو أحمد إلى البيت الخاص بالرجال، وبعد الانتهاء من أداء الواجب عادت أم أحمد إلى المنزل، فوجدت نبراس أمام التلفاز فيما أحلام تعد طعام العشاء في المطبخ.

أم أحمد: نبراس.. لماذا لم تساعدي أختك؟.

نبراس: هي يا أمي طلبت مني أن لا أساعدها.

أحلام: لا والله يا أمي، أنها هي التي رفضت مساعدتي، فقد طلبت منها أن تعد السلطة ولكنها رفضت، وبدأ الشجار بين أحلام ونبراس.

أم أحمد: تصرخ بهن.. هس لا أريد كلام، غداً سيكون إعداد طعام العشاء من واجب نبراس، ولآن هيا نادي أخوتك وأبوك ليتناولوا طعام العشاء.

وبعد تناول طعام العشاء جلست الأسرة أمام التلفاز يتابعون مسلسلاً تركياً مترجماً باللهجة السورية بعنوان لحظة وداع.

أبو أحمد: وبعدين مع المسلسلات التركية، صاير مزاجكم تركي، خلصنا من مسلسل نور ومسلسل سنوات الضياع الذي خرب بيوت العالم العربي، وحصلت من وراء هالمسلسلات حالات طلاق، وخلاف عائلي وتمرد نسائي، معظم النسوان يريدون أزواج مثل مهند رومانسيين، يحملون باقات الورد لزوجاتهم عندما يغضبن منهم لإرضائهن، والرجال يريدون نساءً رومانسيات مخلصات يجدن فن الحب مثل لميس، وهذه شخصيات خيالية غير موجودة في الواقع، وإن وجدت فهي نادرة الوجود.

أم أحمد: تأييد لكلامك يا أبو أحمد لقد سمعت أن رجلاً في المشارع القريبة منّا، قد طلّق زوجته متأثراً بمسلسل نور.

أحلام: تضحك.. ألم تسمعوا أغنية المغني الأردني متعب السقار عن مهند، أنها تحكي نفس المعنى الذي تحدث عنه أبي، بالإضافة إلى أن الممثل التركي المشهور لدى الدول العربية هو ممثل من الدرجة الثاني والثالثة في بلاده تركيا وأنه ليس مشهور هناك.

(انتهى المسلسل وذهب كل واحد لفراشه أم أحمد وأبو أحمد نائمان في السرير)

أم أحمد: أبو أحمد غداً أنا مدعوة لتناول طعام الغداء عند جارتنا أم محمود، أرجو أن تأخذ إذن مغادرة لتعود باكراً من العمل لتجلس في المتجر.

أبو أحمد: خيراً إن شاء الله، وما المناسبة؟.

أم أحمد: زوجها الليلة سيعود من ألمانيا ليستقر معها بعد أن تغرّب خمسة وعشرون عاماً.

أبو أحمد: أف.. خمسة وعشرون عاماً قضتها وحيدة تنتظر عودته.

أم أحمد: كان يأتي إليها كل عامين عشرة أيام، والآن بعد أن علم أولاده وبنى بيتاً واشترى أرضاً أنهى أعماله هناك ليستقر هنا.. آه لو رأيت أم محمود وكيف بريق الفرحة يشع من عينيها.

أبو أحمد: الله يرجعه بالسلامة، وإن شاء الله سأعود غداً مبكراً لتذهبي إلى الغداء يا أم أحمد وتشاركي جارتك أم محمود فرحتها، ثم وضع الغطاء على رأسه وغط في سبات عميق وهو يشخر.

أم أحمد: تتململ في فراشها فلم تستطع النوم، فقامت وتوضأت وأخذت تصلي قيام الليل، وفي الصباح الباكر نزلت أم أحمد إلى المتجر، بعد أن ذهب أولادها وبناتها إلى مدارسهم، وكذلك ذهب أبو أحمد لعمله، وجلست أمام المتجر تنتظر رزقها وتفرك يديها ووجهها، حيث كانت تشعر بجفاف في بشرتها من رياح الخريف الجافة المغبرة، فمرت من أمام المتجر جارتها المعلمة أم وديع.

أم وديع: صباح الخير يا أم أحمد.. ألم تسمعي ما حصل لأم محمود ليلة البارحة.

أم أحمد: تشهق.. خيراً إن شاء الله، ماذا حصل لها؟ هل أصاب زوجها أبو محمود مكروه؟.

أم وديع: يا ريت كان أهون على المسكينة.

أم أحمد: قولي ماذا حصل لقد أفزعتني يا أم وديع.

أم وديع: ذهب زوجي أبو وديع وحمد أخوه لأبو محمود في سيارتنا إلى المطار لإحضار أبو محمود فوجدوا معه زوجته الأجنبية ينتظرهم في المطار، فأحضراه هو وزوجته وحقائبهم.

أم أحمد: بدهشة.. كم هو ناكر للجميل بعد أن انتظرته خمسة وعشرين عاماً، وبعد أن بنت له بيتاً وحافظت على ماله وأولاده وعملت في الأرض حتى أثمرت البيارات، جاء ليكفئها بزوجة أخرى، أهذا هو جزاء المعروف؟.

أم وديع: ليتها كانت زوجة أخرى فقط، بل المصيبة أنه طردها من البيت الذي تعبت ببنائه، كم شاهدناها وهي تحمل الطوب وتساعد في أعمال البناء وفي البيارة، كم شاهدناها تحفر الأرض بالمجرفة وتزرع الأشجار ثم تسقيها حتى أصبحت مثمرة، لقد طردها قليل الأصل، طردها هي وأولادها ليخلوا له الجو هو وزوجته الأجنبية جانيت.

أم أحمد: اسمها جانيت.

أم وديع: نعم وشعرها أشقر وهي شقراء فارعة الطول وترتدي بنطالاً من الجينز وقميصاً عاري الظهر قصير الأكمام.. أستودعك الله يا أم أحمد لقد تأخرت على الدوام، فاليوم هو دوري في المناوبة لأرتب الطالبات في صفوف منتظمة لينشدوا النشيد الوطني ويعزفن السلام الملكي ويحيين العلم بعد رفعه.

أم أحمد: مع السلامة يا أختي، وإن شاء الله يظل علمنا مرفوع دائماً، ويطيل عمر ملكنا سليل الدوحة الهاشمية، ثم قامت إلى متجرها وغلقته وذهبت إلى بيت أهلها لأم محمود لتواسيها في مصابها.

أم محمود: تستقبل أم أحمد وألقت برأسها على صدر أم أحمد وهي تبكي بكاءً مراً.. أظنك عرفت بما فعله أبو محمود بي بعد كل ذلك الصبر الذي صبرته وبعد كل التعب والإخلاص والوفاء.

أم أحمد: أي والله يا أختي عرفت، وجئت لأقول لك شدي حيلك ويجب أن تكوني قوية مؤمنة بالله، فالله الذي خلقك لن ينساك ولن يظلمك، فهؤلاء أبنائك ما شاء الله عليهم، فيهم البركة لن يتخلوا عنك وسيضعونك في عيونهم، فقد شاهدوا ما عملته لأجلهم ولأجل أبيهم وسيقدرون لك ذلك، اصبري يا أم محمود فالمؤمن أشد بلوى والمؤمن يحمد الله خيراً أصابه أم شراً، ويتوكل على الله في كل أموره، وأنت امرأة مؤمنة، هذا نصيبك كل واحد يعمل بأصله، لقد أخلصت لأنك أصيلة مؤمنة وقد غدر لأنه جاحد ناكر للجميل قليل الأصل.

أم محمود: نعم يا أختي، فإن أبنائي لم يتخلوا عني، إن محمود سلمه الله اتصل بي منذ عرف بالموضوع وطلب مني أن أحضر أغراضي لأذهب وأعيش معه في عمان مع زوجته وأولاده، وزوجة محمود امرأة متعلمة ومتدينة تحبني وتحسن معاملتي دائماً، سأذهب لأعيش معهم، ثم وقفت ونظرت إلى بيتها الذي طردت منه وتنهدت ودمعت عينيها وجرت دموعها تتدحرج على خدها.. بصوت متهدج تكاد تخنقها العبرات، كلمات تصف فيها حالة الانتظار التي كانت تعيشها أثناء غياب زوجها والنهاية التي انتهت إليها.

دق بالليل بابي وبسرعة نحو الباب جريت وبأعلى صوتي
ناديت أعز أحبابي أجيت ومن غير ما أشعر فتحت الباب
وطليت وللأسف ما حدا لقيت إلا الريح والمطر وانبليت
ودخلت البيت وتحت لحافي اندسيت وعيني على الباب خليت

وثاني ليلة دق باب البيت وبسرعة نحوه جريت وفتحت الباب وطليت غير شحاد ما رأيت ورجعت صوب البيت وأمامه جلست وبكيت ومرت أيام وشهور وأنا ما أغادر البيت وأذني تسمع دبيب النمل إن كان ما زليت ومر العمر وأنا ما حسيت تخـــرج سعد وتزوج محمود وزيـد قـال يـا يمـه أنا حييت وابن مها مشى وكسّر أغراض البيت وأنا عيني على الباب ما مليت وفي ليلة دق الباب دق باب البيت البيت فتحته وطليت وبأعلى صوتي صرخت وناديت أعز أحبابي أنت جيت وزغردت وغنيت رجع عامود البيت البيت ومن فرحتي جنيت وصوبه تقدمت ومشيت وعلى صدره ارتميت ولكني كل برود الدنيا منه لاقيت ودفش برجله باب البيت وقال أدخلي يا جانيت والتفت صوبي وقال خذي عيالك واخلي البيت حتى أسكن فيه أنا وجانيت زوجتي إللي اخترت وحبيت وأنت طالق بالثلاثة ومنك انتهيت

ثم قامت إلى المغسلة وتوضأت ثم صلت ركعتين لله وأخذت تستغفر الله وتشكره وتحمده.

أم أحمد: هكذا أريدك قوية صبورة كما كنت داماً لا تهزك الشدائد واتركي حسابه لله، "يمهل ولا يهمل". وما هي إلا لحظات إلا وقد وقفت سيارة هونداي خضراء اللون وترجل منها محمود وتوجه نحو أمه يقبل يديها وجبينها ويحتضنها على صدره وهو يقول لها ولا يهمك يا أمي يا أحلى أم بالعالم، نحن معك حتى النهاية، وأمري تطاع لو طلبت لبن العصفور ما يغلى عليك يا أمي الحبيبة وأبي انسيه، فقد كنت تعيشي بدونه منذ خمسة وعشرين عاماً، افترضي أنه لم يعد بعد، أو أنه مات في الغربة، ثم أمسك بها وقادها إلى السيارة وحمل حقائبها ووضعهن في السيارة، ثم أخذها لتعيش معه في عمان.

عادت أم أحمد إلى متجرها كاسفة البال حزينة متألمة لما حصل لأم محمود، وقد عاشت مع أم محمود أحاسيسها ومشاعر الانتظار والألم وهي تسأل نفسها، هل من الممكن أن يفعل معي أبو أحمد ما فعله أبو محمود مع زوجته؟ هل سيطردني؟ هل تعجبه امرأة غيري، فيعشقها وينساني؟ ولم لا، أنا لست أفضل من أم محمود! فهي زوجة مخلصة ووفية وتحب زوجها ومع ذلك تزوج غيرها وطردها، وأخذت الأفكار السيئة تتزاحم على رأسها والشيطان يوسوس ويقنعها بأن أبو أحمد مثل أبو محمود، فاصفر وجهها وتغيرت ملامحها، وبدأت الهموم تسيطر عليها ووصلت المتجر وهي معكرة المزاج لا تستطيع التركيز على عملها، وكلما دخل أحد الزبائن إلى المحل يقرأ ملامح أم أحمد ويسألها: ما بالك يا أم أحمد عسى ما شر؟ فترد أم أحمد ووجهها عابس، لا شيء.. مجرد إرهاق وتعب حتى عاد أبو أحمد من العمل.

أغلقت أم أحمد المتجر وذهبت هي وزوجها إلى البيت وهي واجمة عابسة، لاحظ أبو أحمد ملامح زوجته المتجهمة فسألها:

أبو محمود: ما بك يا أم أحمد.

أم أحمد: لا شيء، أنني تأثرت بما حدث لأم محمود وأنني متألمة عليها.

أبو أحمد: ولا يهمك، بكرة تتعود وأم محمود امرأة قوية ستتخطى هذا الوضع بنجاح وقوة.

أم أحمد: ردت بنبرة غير معتادة عليها، كيف بكرة تتعود عليها.. آه منكم يا رجال، إلى هذه الدرجة الجحود والنكران، جرت دموعها على خدها.

أبو أحمد: لا تعممي يا زوجتي الحبيبة، ليس بالضرورة أن نكون جميعاً مثل أبو محمود، إذا كان هو نذل والنساء أيضاً لسن جميعهن مثل أم أحمد، أو أم محمود، منهن الصالحات ومنهن السيئات كما في الرجال.

أم أحمد: سكتت وهدأ روعها وذهبت إلى المطبخ وأعدت طعام الغداء..

مرت أيام وأسابيع وأم أحمد متوترة متجهمة، وأصبحت عصبية المزاج، وبدأت تتكاسل في عملها في المتجر، حتى أن مرابح المتجر قلّت ولم تعد تكفي نفقات البيت، لاحظ أبو أحمد ذلك ولاحظ توترها يوماً بعد يوم، فقرر أن يناقشها ويحاورها ليعرف سبب توترها وتراجع مرابح المتجر، وهو يظن أن لقصة أم محمود أثر في ذلك، ولكن لماذا؟.. لماذا؟ وهو يحسن معاملتها.

وعند المساء طلب أبو أحمد من أم أحمد أن تعد له إبريقاً من الشاي، وجلس على الكرسي وأمامه طاولة على "البلكونة" وعندما أحضرته طلب منها الجلوس على كرسي مقابل له، ثم طلب من أولاده وبناته أن لا يقطع خلوتهما أحد، وسألها:

أبو أحمد: أنا أعرف أن موضوع أم محمود أثر على نفسيتك، ولكن ما هو الحل الذي يعيدك إلى طبيعتك المرحة ويعيدك إلى نشاطك؟ لم لا تعودي تهتمي بالمتجر؟، ودائماً متوترة!.

أم أحمد: لا شيء.. أنني متعبة ومتألمة لحال أم محمود.

أبو أحمد: أعرف ذلك. ولكن.. لماذا؟ ألهذه الدرجة! أتخافين مني أن أفعل مثله.

أم أحمد: ولم لا.. ألست رجلاً! وأحل لك الشرع أربعة؟

أبو أحمد: يضحك.. بلا، هبل يا أم أحمد، لن أتزوج عليك وليس عندي سبب لأتزوج، فأنت جميلة ومتدينة ومتعلمة وابنة أصل، وقد أنجبت لي ذرية صالحة.

أم أحمد: ربما ليس الآن، ربما عندما أكبر تعجبك الصبايا بشبابهن ونشاطهن.

أبو أحمد: يضحك.. وهل ستكبرين وأنا أبقى صغير؟ فأنا أيضاً سأكبر.. هز رأسه.. الناس اتخذت من الشرع منفذاً لشهواتهم وظلمهم، إن الشرع أحل أربعة لأسباب منها مرض الزوجة وعدم الإنجاب ... الخ.

أم أحمد: إذا رغب الزوج استبدال زوجته فلن يعجز عن اختلاق الأسباب.

أبو أحمد: هات من الآخر يا أم أحمد، ما هو الحل الذي يرضيك ويشعرك بالأمان والاطمئنان.

أم أحمد: يعني أخاف أن أبذل قصارى جهدي بالعمل بالمتجر وأوفر لك الأموال وأساعدك، وآخر الأمر يصبح كل شيء لك وأنا أخرج من المولد بلا حمص.

أبو أحمد: هذه بسيطة، إذا كان تأمين مستقبلك يشعرك بالأمان ويرجعك إلى طبيعتك ونشاطك وحبك لي وللأولاد، فسأسجل البيت والمتجر باسمك اعتباراً من صباح الغد وابتسمي يا ستي، ودعيني أرى وجهك البشوش الذي حرمتني منه مدة.

أم أحمد: تضحك.. ألا تخاف أن آخذ كل شيء وأطردك.

أبو أحمد: يضحك.. لن تعمليها لأنك أصيلة وبتحبيني وبتحبي أولادك، وعائلتك لن تدمريها بيديك وكلي ثقة بك.

أم أحمد: تعانق زوجها.. لا.. لا أريد شيئاً يكفيني ثقتك وحبك يا أبو أحمد.

"وعادت أم أحمد لعملها بجد ونشاط وبشاشة، وعندما عاد أبو أحمد من عمله استقبلته ببشاشة فناولها أوراق"

أبو أحمد: احتفظي بها في مكان أمين.

أم أحمد: تأخذ الأوراق وتضعها في صندوق داخل الخزانة دون أن تفتحها.

أبو أحمد: لم لا تفتحيها يا أم أحمد؟

أم أحمد: ولم أفتحها؟.

أبو أحمد: لأنها لك.. لي أنا!.

أم أحمد: تفتح الأوراق وتشهق.. ورقة طاب للبيت والمتجر، أنت جاد فيما قلته لي ليلة البارحة، ولم هذا؟

أبو أحمد: أنت وأنا واحد، أليس لدينا أسرة واحدة تعمل على تدبير أمورها معاً، أنها شركة بيننا وكله لأولادنا يا أم أحمد.

أم أحمد: تقبل على زوجها أبو أحمد.. تحتضنه وتقبله.. أنت تثق بي، أنت تحبني، وهذا يكفيني.

أبو أحمد: ،أنا يكفيني حبك لي وثقتك بي.

"عملت أم أحمد بجد ونشاط بعد أن هدأت نفسها، وبعد فتر وجيزة من الزمن جاءت أم سامي زوجة أخ أبو محمود لتشتري بعض الأغراض"

أم أحمد: ما أخبار أبو محمود؟ ألم يصالح زوجته أم محمود؟.

أم سامي: تتنهد وضربت على صدرها والحزن باد على قسمات وجهها.. يصالحها.. يا حسرة عليك يا أم محمود، والله ما هو سائل فيها، الأجنبية الشقراء جعلته ينسى أمه، طول النهار جالسة بجانبه في السيارة ويتنقلون من مدينة إلى مدينة، ومن قرية إلى قرية.

أم أحمد: والآن هو في البيت أم ما زال يعمل لها جولات سياحية؟

أم سامي: الآن سافر إلى البتراء لأنها طلبت منه أن تزور البتراء لأنها من عجائب الدنيا السبع، وتقول أنها قرأت عنها ورأت صورها وهي هناك في ألمانيا، وبعد ذلك سيذهب معها إلى العقبة كي تسبح على الشط.

"وبينما هما تتسامران إذ بنساء ورجال وأطفال يركضون في الشارع باتجاه بيت أبو محمود، فسألت أحد المارة":

أم سامي: ماذا حدث؟ لماذا يركضون الناس نحو بيت أبو محمود؟.

الرجل: ألا تعرفين؟.

أم سامي: أعرف ماذا؟ تكلم أرجوك ماذا حصل؟.

الرجل: لقد وقع حادث سير بين أبو محمود وشاحنة في مدينة عمان.

أم سامي: تصرخ.. وماذا حصل لأبو محمود؟.

الرجل طأطأ رأسه.. العوض بعين الكريم، لقد توفي أبو محمود وزوجته الأجنبية، وقد أحضرت الجثث إلى بيت أبو محمود، حملت أم سامي الأغراض وهرولت إلى بيتها وهي تقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله".

ضربت أم أحمد كفاً بكف.. يمهل ولا يهمل، إن الظلم مرتعه وخيم.

ومرت الأيام وكانت القرية هادئة وليس فيها جديد، كل يمارس عمله بجد ونشاط وكذلك أم أحمد، وذات يوم بينما أم أحمد جالسة أمام متجرها جاءت إليها أم محمود لتشتري بعض الأغراض للبيت، جلست أم محمود تشرب الشاي مع أم أحمد.

أم أحمد: وأخيراً عدت إلى بيتك، لقد انتقم الله لك من أبو محمود.

أم محمود: تسيل دموعها على خدها، وتحاول مسحها براحة يدها.. ليتني لم أعد وبقي أبو محمود حيّاً، أنه والد أبنائي ورفيق حياتي، لم أكن مسرورة أبداً بموته فأنا أحبه كما أحب نفسي، وكنت أتمنى له السعادة حتى ولو كان مع امرأة غيري.

أم أحمد: أنت امرأة وفية يا أم محمود، ولن يتخلى الله عنك.

"أخذت أم محمود أغراضها وذهبت، جلست أم أحمد تفكر في أم محمود وتقول في نفسها: عجيبة.. أحقاً تحبه رغم ما فعله بها، ربما كل شيء ممكن"

دخلت أم أحمد المتجر وفتحت التلفاز وجلست أمامه وهي تنظر إلى الشاشة دون تركيز، ثم وقفت أمام المتجر شاحنة محملة بالأثاث المنزلي، فقامت أم أحمد ونظرت إلى الشاحنة وهي تقول: من يا ترى سيسكن في حارتنا، ربما يكون ساكن جديد، ولكنها فوجئت بأم عصام تنزل من الشاحنة وتتجه صوبها وتعانقها.

أم أحمد: مذهولة.. أتودين العودة إلى القرية والسكن هنا؟ ألم يعجبك السكن في المدينة؟.

أم عصام: لا أريد المدينة وسكناها لقد خسرت أبنائي يا أختي.

أم أحمد: وكيف حصل ذلك؟

أم عصام: كيف حصل؟ سأحدثك به فيما بعد، اسمحي لي الآن أريد أن أرتب بيتي القديم وأحضر الطعام لزوجي وأولادي.

أم أحمد: سأعد لكم طعام العشاء أرجو أن تقبلي دعوتي أنت وزوجك والأولاد.

أم عصام: اعذريني يا أم أحمد، فأنا متعبة ونحن أهل وليس بيننا هذه الأمور، عندما أستقر، سآتي أنا وأبو عصام والأولاد لنسهر عندكم وأحدثك بما حصل معي ومع أسرتي في المدينة، والآن اعذريني.

أم أحمد: مع السلامة يا جارتي العزيزة.

وبعد مرور ثلاثة أيام طرق باب بيت أم أحمد ليلاً، فتح الباب أبو أحمد فوجد أبو عصام وأم عصام أمام البيت، فرحب بهما وأدخلهما البيت، ودخلت أم عصام إلى أم أحمد وجلست معها، ودخل أبو عصام مع أبو أحمد إلى غرفة الضيوف. أعدت نبراس إبريقاً من الشاي ووضعته أمام أمها وأم عصام، وأرسلت لأبيها كأسين من الشاي، وبدأ أبو عصام وأبو أحمد يتسامران وكذلك أم أحمد وأم عصام:

أم عصام: أعرف أنت متشوقة لتعرفي لماذا عدت إلى القرية.

أم أحمد: نعم "شو حبب الله وشو بغض الله" لم يمضي على رحيلك عام فقط.

أم عصام: والله يا أختي أسباب كثيرة جعلتني أرجع إلى هنا، أول شيء الوضع المادي، فالمدينة يحتاج ساكنها إلى نقود يا أختي، السوق مليء بالبضائع المغرية والأولاد والبنات صغار ومراهقين ولا أستطيع أن ألبي رغباتهم وأكفي نفقاتهم. بينما الأرض تعطينا كل ما نحتاجه من خضار وفواكه ونربي فيها الحيوانات التي تعطينا اللحم والحليب وغيره، وكذلك أبنائي يقضون وقت فراغهم بالعمل في الزراعة ومساعدتنا، بينما في المدينة لا يعرفون كيف يقضون وقتهم، فهم كثيراً ما يتشاجرون مع بعضهم البعض أو مع أولاد الجيران، وهو السبب الرئيسي لعودتنا هنا، فقد كان ابني سامر يلعب بالكرة فكسرت شباك بيت

الجيران، فتشاجر مع ابن الجيران الذي في مثل سنه، وضرب ابني بالعصا، فضربة ابني سكين، والآن ابني في السجن وابن الجيران في المستشفى بين الحياة والموت، وراح أبو عصام وأقرباؤه ودخلوا بوجه عشيرة المرابعة وبكرة عشيرة المرابعة سيذهبون إلى عشيرة البكرية أهل الشاب فادي الذي ضربه ابني ليأخذوا عطوة حتى يشفى الشاب، الله يشفيه.

أم أحمد: آمين.

أم عصام:والله لو مات فادي غير نبيع كل أملاكنا ونصير عالحديدة.

أم أحمد توكلي على الله، إن شاء الله سيشفى ويتم الصلح بينكم وبينهم، ويرجع ابنك سامر إلى البيت سالماً غانماً وترجعي تجلسي عندي وتحكي لي الحكايات اللطيفة ونشرب الشاي معاً ونضحك، والله أني مشتاق لتلك الأيام يا أم عصام.

أم عصام: وأنا كذلك يا أم أحمد، والله أينما ذهبت لا أرى أفضل من قريتنا.

أم أحمد: يا ستي المثل يقول "كل بلاد على أهلها شام" فكل واحد يحب مكان مسقط رأسه والذي تربى فيه.

انتهت السهرة وعاد أبو عصام وأم عصام إلى بيتهم، وفي الصباح استيقظ الجميع لأداء صلاة الفجر، ثم بعد ذلك تناولوا الشاي والإفطار، بعد ذلك قامت نبراس وفتحت حقيبتها المدرسية لتحل بعض التمارين الرياضية، فلم تجد قلمها.

نبراس: أحلام هل رأيت قلمي؟.

أحلام: هو يعني ما في البيت غيري؟ اسألي غيري؟.

نبراس: أكيد أنت إللي أخذتيه.

"ودب الشجار بينهما"

أبو أحمد: يصرخ.. لماذا الشجار؟ لا أريد أن أسمع صوت، والله أقص لسانك ولسانها.

"يسكتن على مضض"

نبراس: تبكي بدموع سخية وبدون صوت.

أم أحمد: ترى ذلك.. فتناولت قلماً من جيب قميص أبو أحمد الذي معلقاً على المشجب وأعطه لنبراس لتحل المسائل الرياضية، فأخذته نبراس ومسحت دموعها وبدأت تحل، ثم ذهبت أم أحمد إلى المتجر وفتحت الباب ورتبت الأغراض وبعد ذلك بقليل دخل رجل مسكين يحمل مكنسة طويلة:

المسكين: يتأتيء.. صبـ.. صبـ ا صبا..ح ال..ال.. خـ.. يـ.. ر.

أم أحمد: أهلاً وسهلاً، ماذا تريد؟

المسكين: بسـ بسـ ... كوتة للـ.. للـ.. لله فأعطته قطعة بسكويت وزجاجة كولا وجلس على صندوق فارغ أمام المتجر، وبدأ يشرب.

"جاء عبد الله عامل النظافة وهو يحمل مكنسته"

عبد الله: صباح الخير، ماذا تعمل هنا يا أبو عطية؟.

أم أحمد: أتعرفه يا عبد الله؟.

عبد الله: أنه عامل النظافة أبو عطية، لقد بعثته البلدية معي لمساعدتي لأن هذا الشارع فيه محلات تجارية، هل دفع أبو عطية ثمن الكولا والبسكويت؟

أم أحمد: لقد أعطيته إياها صدقة.

عبد الله: يضحك.. صدقة، والله معه فلوس أكثر مني ومنك.

أم أحمد: فهو يأخذ راتب من البلدية وراتب من الشؤون، لأن لديه ولد معوق وزوجته تعمل خياطة في البيت، ولديه أرض سجلها باسم زوجته ودائماً يشحذ.

أم أحمد: الله يرزقه يا عبد الله، ولا تنسى قول الله تعالى "وأما السائل فلا تنهر وأم بنعمة ربك فحدث" صدق الله العظيم.

"وبينما هي تتحدث مع عامل النظافة عبد الله، دخل الدكتور سمير"

الدكتور سمير: السلام عليكم يا أم أحمد.

أم أحمد: وعليكم السلام ورحمة الله، لم أرك منذ زمن.

الدكتور سمير: لقد سافرت إلى بريطانيا مدة شهر وذلك للاشتراك في مؤتمر طبي.

أم أحمد: ألم تسمع في الأخبار ما قاله الرئيس الجديد باراك أوباما؟.

الدكتور سمير: وماذا قال؟.

أم أحمد: لقد قال أن أولى أولوياتي هي سحب الجيش الأمريكي من العراق.

الدكتور سمير: أنا عندي خبر جديد تازة ويهز العالم هز، وجعل سعر الحذاء يرتفع إلى الملايين.

أم أحمد: تشهق مذهولة.. الحذاء بملايين، ومن ماذا صنع هذا الحذاء؟

الدكتور سمير: أنه حذاء عادي، ولكن الرجل الذي يلبسه غير عادي، رجل جرئ جداً جداً، رجل تجرأ وضرب "بوش" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بالحذاء.. بالحذاء، رئيس

أقوى دولة بالعالم، وقال له هذه قبلة الوداع من الشعب العراقي يا كلب.

أم أحمد: ليت أمه أنجبت مثله شعباً كاملاً، لا بل أمه كاملة، فلتعيش العراق التي أنجبت مثل هؤلاء الرجال، أنه لم يسبق إلى هذا الفعل أحد سوى غورباتشوف عندما لوح للعالم بحذائه قائلاً: فيتو قبل قرن من الزمان زها قد خلد حذائه.

الدكتور سمير: صدقيني يا أم احمد أن الشعب العراقي لن يهزم ما دام به رجال مثل هذا الرجل.

أم احمد: وماذا يعمل هذا الرجل؟.

الدكتور سمير: انه يعمل مراسل لقناة البغدادية، ثم نظر في ساعته وعاد مسرعاً.

مرت أيام والوضع عادي ولم يحصل شيء جديد في المتجر ولا في الحارة، وحتى أم عصام لم تظهر ولم تأتي إلى المتجر ولم ترى أم وديع. وبعد أسبوع من ذلك مرت أم وديع.

أم احمد: خيراً إن شاء الله يا أم وديع، لم أرك منذ أسبوع.

أم وديع: لقد كان ابني وديع مريض في المستشفى يعاني من الحساسية.

أم أحمد: والله ألف سلامه عليه يا أم وديع، لو كنت أعرف كنت زرتك في المستشفى، ولكن لا يهم، إن شاء الله سأزورك الليلة أنا وأبو أحمد إذا كان أبو وديع في البيت.

أم وديع: أهلا وسهلا يا أم احمد، بتشرفونا.

أم أحمد: الله يزيدك شرف.

ذهبت أم وديع إلى المدرسة ودخلت أم أحمد إلى المتجر، وبدأت تنفض الغبار عن الأغراض، "وبينما هي تعمل إذ دخل

شاب في الخامسة عشر من عمره وهو يحمل علبة سجائر أجنبية".

الشاب: أريد أن أرجع هذه العلبة، فالسجائر فيها مضروبة ومعفنة.

أم احمد: هذه السجائر أجنبية يا ابني، وأنا ليس عندي سجائر أجنبية مهربة، أنا أبيع الصنف الأردني فقط.

الشاب: أنها من متجركم وقد أحضرها أخي الصغير قبل قليل.

أم أحمد: صلي عالنبي يا ابني، وأحضر أخاك إلى المتجر واسأله إذا كنت أنا من باعه علبة السجائر أم جارنا.

فخرج الشاب بعصبية وهو يتأفف، ثم أحضر أخاه الصغير وعاد.

أم أحمد: هل اشتريت علبة السجائر من عندي أم من عند جارنا؟.

الصبي: أنها من عند ذلك الرجل، وأشار إلى المتجر المقابل لمتجر أم احمد.

سحب أخاه ثم ذهب إلى المتجر الآخر، وأخذ يصرخ ويسب ورمى بعلبة السجائر بوجه صاحب المتجر، وسار وهو يسحب أخيه بسرعة وهو يشتم ويسب.

أم احمد: أنه ما زال صغيراً، لا أعرف لماذا يدخن! ألا يخاف على صحته!، ما هذا الجيل؟ ما زال يأخذ مصروفه من أبيه، ويشتري سجائر! ثم جلست أم أحمد على الكرسي وأخذت تنظر إلى التلفزيون، كانت المذيعة تدير حواراً مع المسؤولين عن قناة البحرين والفوائد التي سيجنيها أهل الغور والأردن، وكيف ستتوفر المياه، ويستطيع المزارعون زراعة ما يشاؤون،

وستفذ مشاريع اقتصادية يستفيد منها الوطن، وان الكهرباء أيضا ستتوفر وستنخفض قيمة فاتورتها، عال والله عال الكهرباء أكلت الرواتب وخاصة أيام الصيف: المكيفات والثلاجات لا تتوقف عن العمل ليل نهار، وبالكاد تستطيع مقاومة الحر.

"وبينما هي تنظر إلى التلفزيون إذ رن جرس الهاتف فأجابت":

أم احمد: الو.. أهلاً أبو أحمد، خيراً إن شاء الله.

أبو أحمد: أغلقي المتجر وأعدي أربع مناسف.

أم احمد: الآن!.

أبو أحمد: نعم.

أم أحمد: ولكن لمن هذه المناسف؟ ولماذا؟.

أبو أحمد: إنها لزملائي الموظفين، فقد أصروا أن يتناولوا طعام الغداء اليوم، بمناسبة تعيين ابننا أحمد مهندسا معمارياً.

أم أحمد: حاضر يا أبو أحمد.. تكرم أنت وزملائك.

أم أحمد: أغلقت المتجر، ونادت جارتها أم عصام.. إذا كنت غير مشغولة تعالي وساعديني في عمل المناسف.

أم عصام: والله أنا غير مشغولة، إلا أنني لم أعد طعام الغداء لأبنائي وزوجي.

أم أحمد: ولا يهمك، ستأخذين لهم طعاماً من عندنا بعد أن أتم الطهي انأ وأنت.

أم عصام: إذن سآتي فوراً.

أعدت أم أحمد وأم عصام المناسف، وأخذت أم عصام غداء لأبنائها وذهبت، وحضر زملاء أبو أحمد وتناولوا طعام الغداء، وسرّوا كثيراً وأثنوا على أم احمد وطهوها اللذيذ، وشربوا

الشاي، وبعد ذلك غادروا البيت مسرورين. وبعد ذلك جلس أبو أحمد وأم احمد يتناولون الشاي.

أم أحمد: والله وعدت أم وديع نسهر عندهم الليلة.

أبو أحمد: وما المناسبة؟.

أم أحمد: ابنها وديع مريض، ودخل المستشفى، ويوم أمس خرج من المستشفى.

أبو أحمد: الزيارة واجبة، فقد أوصانا الرسول الكريم "صلى الله عليه وسلم" بالجار حتى سابع جار، يجب أن نشاركهم أفراحهم وأتراحهم، ونزور مرضاهم.

أم أحمد: أي والله، إنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فالزيارات تطفئ الأحقاد والحسد بين الناس وتنشر المحبة وتقلل المشاكل وتقضي على الشر.

بعد صلاة العشاء ذهب أبو أحمد وأم أحمد إلى بيت أبو وديع وجلسوا في الفرندة المطلة على الشارع العام، وصنعت أم وديع القهوة ووضعتها أمام الضيوف، وبدؤوا يتسامرون ويتبادلون الأحاديث، وبينما هم جالسون سمعوا صوت سيارة الإسعاف وسيارات شرطة تملأ المكان، صعد الجميع إلى سطح البيت وأطلوا، فوجدوا سيارات الشرطة تحيط ببيت أبو مسعود الذي توفي قبل أربعة أشهر.

ذهب أبو أحمد وأبو وديع إلى بيت أبو مسعود، فلم تسمح لهم الشرطة تحيط بالدخول حفاظاً على الأدلة في مسرح الجريمة فسأل

أبو أحمد: للشرطة.. ما الأمر؟.

أحد الشرطة: جريمة قتل.

أبو أحمد: قتل! قتل من؟.

الشرطي: امرأة أسمها أم مسعود.

أبو أحمد: يصرخ.. أم مسعود! لا حول ولا قوة إلا بالله، لقد كانت أما وأبا لأبنائها منذ عشرة سنوات، فهي تعمل ليل نهار لقد أصبح أبناءها أيتاما من الأم والأب معاً مساكين هؤلاء الأطفال "ثم عاد أبو أحمد وأبو وديع إلى البيت يتساءلون، ما السبب يا ترى؟ وعندما وصلوا:

أم وديع وأم أحمد: لماذا الشرطة؟ وسيارات الإسعاف في حارتنا عند بيت أم مسعود؟.

أبو وديع: لقد قتلت أم مسعود!.

أم أحمد: تشهق.. وما السبب؟.

أبو أحمد: لا نعلم.. الشرطة تحقق بالأمر.

أم وديع: أكيد جريمة شرف!.

عادت أم أحمد وزوجها حزينة على أم مسعود وأبناءها الصغار الذين أصبحوا بلا معيل. وفي صباح اليوم التالي ذهبت أم أحمد إلى متجرها وفتحت الباب، وبدأت تنظف المتجر، دخلت إحدى النسوة إلى المتجر وطلبت كيس شاي الغزالين، فتناولت أم أحمد الكيس ووضعته في حقيبة وناولته للسيدة.

السيدة: أم أحمد ألم تسمعي بقتل أم مسعود.

أم أحمد: بلى، لقد سمعت.. ولكن ما السبب؟.

السيدة تقلب شفتيها ونفضت صدرها.. "عندنا ولايا، الله يستر على ولايانا" يقولون أنها فاسقة.

أم أحمد: يا ناس خافوا الله، أي زوجها صار له عشرة سنوات مريض ومقعد، وهي صغيرة وكان عمرها خمسة وعشرين عاماً، والصبايا التي في مثل سنها لم يتزوجن بعد، فلم يقول أحد فاسقة، فلماذا اليوم وابنها في الجامعة؟.

السيدة: الله أعلم! وذهبت.
"يدخل أحد الرجال إلى متجر أم أحمد".
الرجل: أم أحمد أعطني علبة سجائر.
أم أحمد: تناوله علبة سجائر.
الرجل: ألم تسمعي بما حصل لأم مسعود!.
أم أحمد: لقد سمعت.
الرجل: تستاهل القتل لوثت شرف عائلتها، وذلت أبنائها.
أم أحمد: ومن الرجل المتهم؟.
الرجل: إنه العامل المصري الذي يعمل معها في المزرعة.
أم أحمد: وهل قتلوه أيضاً؟.
الرجل: لا.. لقد ذهب أحد الجيران وأخبره، فهرب وسلم نفسه للشرطة. أخذ الرجل علبة السجائر وخرج.
"بعد قليل دخلت امرأة أخرى المتجر تريد أن تشتري".
المرأة: علبة طن وطبق بيض يا أم أحمد.
أم أحمد: تحضر لها ما طلبت.
المرأة: تلتفت إلى أم أحمد.. سمعت ما حصل لأم مسعود!.
أم أحمد: لقد سمعت، ولكن حدثيني عن السبب.
المرأة: يا ويلها من الله أم مسعود، الذي يراها يظن أنها عاقلة ومستورة، طول الليل تصلي وتقرأ القرآن وبالنهار تعمل في البستان.. "يا ما تحت السواهي دواهي". عرف أخوها أنها حامل من المصري الذي يعمل معها في البستان.
أم أحمد: وكمان حامل! وكيف عرف أخوها أنها حامل؟ هل أجرى لها فحص حمل في المختبر؟.

المرأة: لا.. لا تشاجر ابن أخوها مع ابن خلف الدواهي، فعيره "تسحب الموس عليّ، روح اسحب الموس على عمتك العاهرة التي حملت من المصري"، فحدث الولد أبوه بما قاله ابن خلف، فحمل المسدس وذهب إلى أخته وأطلق ثلاث رصاصات على رأسها، لقد كانت أختي هناك عند أم مسعود، وقالت أختي: أن منظرها وهي مضرجة بالدم منظر مؤلم جداً، وأبنائها يحيطون بها ويحاولون لإيقاف النزيف، وأيديهم ملطخة بالدم وهم يبكون ويصرخون، منظر يحرق الفؤاد.

أم أحمد: الله أعلم بالحقيقة، فالعلم تطور والطب تقدم، فإذا كانت بريئة سيظهر ذلك بعد التحقيق، ولكن ماذا تستفيد هي وأبنائها إذا ظهرت النتائج تثبت براءتها، فقد ماتت.. ماتت قتلها أخوها دون تقصي الحقيقة لمجرد كلمة قالها طفل، "الله أكبر" لهذه الدرجة روح الإنسان رخيصة.

السيدة: والله يا أم أحمد الفضيحة تنتشر بسرعة وتكثر الإشاعات، كل يوم واحد يحكي القصة ويزيد عليها والحقيقة الله أعلم بها.

أم أحمد: نحن مسلمين، والإسلام لم يطلب منّا أن نتصرف هكذا، فقد طلب الإسلام بنص صريح في القرآن الكريم أن يشهد عل فعل الزنا أربعة شهود وأن يثبت ذلك، ترجم السيدة المتزوجة، وغير المتزوجة تجلد بالسوط حتى يحافظ على أرواح الناس ومنعاً للإشاعات ومس أعراض الناس، طلب جلد من يدعي على أحد بأنه زاني دون أن يأتي بأربعة شهود.

ومرت أيام، وبعد اكتمال التحقيق بالقضية وعرض جثة أم مسعود على الطب الشرعي تبين أنها بريئة وتبين أن العامل المصري خنث بالخلقة الإلهية.

"جلست أم أحمد أمام المتجر بعد ظهور براءة أم مسعود،

فجاءت إليها أم عصام وجلست معها.

أم عصام: عرفت يا أم أحمد بأن أم مسعود مسكينة بريئة، وأن المصري المتهم هو خنث.

أم أحمد: والله سمعت، ولكن ما الفائدة لقد دفعت أم مسعود حياتها ثمناً للإشاعات الكاذبة، وكذلك أخوها سيقضي عمره في السجن إن لم يشنق، وهؤلاء أبناءها سيخسرون تعليمهم، وكم كانت أم مسعود محبة للتعليم! وكم كانت دائماً تتمنى أن ترى ابنها مسعود طبيباً.

أم عصام: لقد ترك مسعود الجامعة ليتفرغ لتربية أخوانه وتعليمهم، ويعمل بأرض أبيه، فقد رأيته جالساً عند قبر أمه وهو يبكي ويقول: سأحقق لك حلمك يا أمي، سأعلم أخواني وسأصبح طبيباً إن شاء الله حتى لو أصبحت عجوزاً، فارتاحي بقبرك يا أمي.

أم أحمد: لا حول ولا قوة إلا بالله، ظلموها حية وميتة.

أم عصام: من ظلمها؟.

أم أحمد: أهلها لمّا زوجوها صغيرة لرجل عجوز، لم تر طعم الراحة معه وهو حيّ وظلموها عندما قتلوها ويتموا أولادها، ثمناً لإشاعة كاذبة.

أم عصام: تنظر في ساعتها.. هذا موعد عودة الأولاد من المدرسة، سأذهب لأعد لهم طعام الغداء.

أم أحمد: على فكرة، ماذا حصل للشاب الذي ضربه ابنك بالموس؟.

أم عصام: الحمد لله لقد شفي، وتمت الصلح بيننا وبين أهله، ولكن والله ضربة هالموس كلفتنا ألف دينار، بين مصاريف ومواصلات وهدايا وثمن علاج ومستشفى.

أم أحمد: أي كان ضربه ابنك بالعصا بدل الموس، أي حياة أولاد الناس لعبة، كل واحد ابنه غالي عليه وألا.. لا؟.

أم عصام: أي والله يا أم أحمد، أنهم فلذات أكبادنا تمشي على الأرض، الحمد لله الذي شفاه وأعاده لأبويه سالماً.

أم أحمد: وبالنسبة لابنك هل خرج من السجن.

أم عصام: نعم، لقد خرج وهو نادم على فعلته، وكلما رأى الموس يتشنج ويغمض عينيه كأنما لا يريد أن يتذكر ما حصل.

أم عصام: تنظر في ساعتها.. أوه والله تأخرت يا أم أحمد.. السلام عليكم.

أم أحمد: مع السلامة يا أم عصام.

وبقيت أم أحمد وحيدة في متجرها حزينة على أم مسعود، تلك السيدة الفاضلة التي دفعت عمرها ثمن إشاعة كاذبة، فأخوها حرمها الحياة وحرم أبنائها حنان الأمومة، وحرم أولاده من عطف الأب وحنانه. قالت في نفسها: لو أن الناس يطبقون الشرع لما أخطأ أحد ولم يظلم إنسان أخاه الإنسان، ولما كان القتل هو أول الحلول، فالقاتل كما ظلم المقتول ظلم نفسه في الدنيا والآخرة، وظلم أهله.

وبينما أم أحمد جالسة تفكر، مرّت من أمام المتجر سارة وابنها أمين وهو طفل في العاشرة من عمره:

سارة: السلام عليكم يا أم أحمد.. هل عندك فحم؟.

أم أحمد: لا والله، يوجد عند جارنا فحم، اذهب واسأليه.

سارة: ابني أمين الله يسلمه طلب مني أن أعد له لحماً مشوياً، وقال عندما أعود من الجامع بعد صلاة العصر أريد أن أجدك قد أعددت اللحم المشوي، وهو وحيدي كما تعرفين وأنا

ألبي كل طلباته، سأذهب وأشتري الفحم وأشوي عليه اللحم قبل أن يعود.

ثم ذهبت سارة وقامت أم أحمد وأغلقت المتجر وذهبت إلى بيتها لتعد طعام الغداء لأولادها وزوجها، وبعد أن اجتمعت العائلة على طعام الغداء وشربوا الشاي، عادت أم أحمد إلى المتجر وفتحته وجلست أمامه، فرأتها أم عصام فأتت إلى أم أحمد وهي تحمل إبريقاً من الشاي وجلست عند أم أحمد وأخذن يتحدثن ويشربن الشاي، فعادت سارة وسألت أم أحمد وأم عصام.

سارة: هل رأيتن ابني أمين؟، لقد عاد كل المصلين من الجامع ولم يعد ابني.

أم أحمد: والله لم نره يا أم أمين.

سارة: جن جنونها وأخذت تعدو من بيت إلى بيت وتسأل عن ابنها أمين وخاصة البيوت التي فيها أولاد في مثل سنه، ولكن الجميع كان يجيبها: لم نره، فأخذت تجري في الشارع وتصرخ أمين.. أمين، لقد شويت لك اللحم، تعال يا بني.. أين أنت، وغابت الشمس ولكن دون فائدة، فعادت إلى أم أحمد وهي تقول: أكاد أجن أرجوك ساعديني يا أم أحمد أرجوك، فرفعت أم أحمد سماعة التلفون واتصلت بمركز الشرطة وأعلمتهم عن فقدان أمين وأعطتهم أوصافه، فجاءت سيارة الشرطة وأضيئت القرية بكاشفات النور، وبدأت الشرطة تحقيقاتها وبحثها وجاء أحد المزارعين يحمل فردة حذاء صغير، وقال: للشرطة وجدت هذا الحذاء قرب بركة (التفتاف) الخاصة لسقاية المزرعة، ربما يكون هذا الحذاء لأمين، فذهبت الشرطة إلى البركة وأضاء الأنوار الكاشفة ونزل أحد السباحين إلى البركة، فوجد أمين جثة هامدة، فأخرجه وأخذته الشرطة إلى الطب الشرعي لمعرفة

أسباب الوفاة، وكم كان وقع الخبر على سارة مراً ومؤلماً حيث أن أمين هو وحيدها وهي لم تستطع أن تنجب غيره، فهي في سن الخمسين وأرملة حيث كانت زوجة لرجل عجوز وكانت هي كبيرة أيضاً بالسن، فكانت في الأربعين من عمرها عندما تزوجت فلم تنجب.

أخذت سارة تبكي وتنادي ابنها الحبيب أمين.. أمين لقد نضج اللحم، تعال كل يا أمين، وتجمعت حولها نساء الحي وأخذن يواسيهن، ولكنها أبكت نساء الحارة جميعاً، وعندما أحضرت الجثة إلى بيتها ارتمت على طفلها تقبله وتحضنه وترفض أن يأخذوه منها، وأخذوه بالقوة ووضعوه بالتابوت وأرسلوه إلى المقبرة، فهرولت تركض خلفهم وهي تصرخ أرجوكم أعيدوه إليّ.. ابني.. ابني حبيبي.. إنه لم يمت.. أمين.. لا تتركني أرجوك. والنساء يمسكن بها وبدأ الرجال بدفن جثة الطفل، وبعد الانتهاء من دفنه ألقت بنفسها على قبره وأخذت تبكي بكاءً مراً.

أم أحمد: تنظر إلى أم عصام.. مسكينة هذه الأم المفجوعة بطفلها الوحيد.

أم عصام: ليست الوحيدة في الأغوار هي التي فقدت طفلها بهذه الطريقة، فكثير من الأطفال ماتوا غرقاً في برك (التفتاف) الخاصة بالزراعة.

أم أحمد: نعم.. لقد فجعت كثيراً من الأمهات بسبب استهتار وجهل المزارعين الذين يستخدمون هذه الطريقة للري، ليتهم يغطون هذه البرك بشيك أو قضبان حديدية أو سقوف أسمنتية لأنها أصبحت مصيدة الإنسان والحيوان.

أم عصام: والله فكرة صائبة، لو فرضت وزارة الزراعة على المزارعين ومن يخالف يدفع غرامة، لن تجدي بركة مكشوفة.

عادت أم أحمد وأم عصام كل واحدة إلى بيتها، وكل واحدة تحمل في قلبها صورة لسارة أم أمين تقطع القلب، أما سارة فكانوا أهلها يأخذونها إلى البيت فتهرب مرة أخرى وتعود إلى القبر، وبقيت على هذا الحال مدة من الزمن وأصابها ضعف شديد فأرسلوها إلى المستشفى وهناك يعطوها جلوكوز وأدوية مغذية، فعاد لها نشاطها وأخرجها الطبيب حيث وصف لها أدوية مهدئة، فبدأت واجمة حزينة كئيبة تقضي ليلها ونهارها عند قبر أبنها أمين.

وبدأ موسم الشتاء، ورغم الشتاء فهي لا تفارق القبر، وذات يوم من أيام الشتاء الباردة وفي الصباح الباكر، طرق أحد المارة باب بيت أبو أحمد، فأستيقظ أبو أحمد وأم أحمد وفتح أبو أحمد الباب وقال: مين.. خير إن شاء الله. فقال الرجل: أنا يوسف.. انتهت إجازتي، وأنا عائد إلى المعسكر رأيت امرأة نائمة أمام المتجر، فركض أبو أحمد وأم أحمد ويوسف إلى المتجر وبيد أبو أحمد قنديل، فنظروا في وجه المرأة فعرفوها، سارة.. أم أمين. أبو أحمد: لا حول ولا قوة إلا بالله. أم أحمد لقد رحمها الله من عذابها وأتصل أبو أحمد بأهلها فجاءوا وأخذوها ثم دفنوها بقرب ابنها أمين.

بدأ موسم الخير وأم أحمد تعشق منظر القطرات الساقطة على الأرض فتعانقها الأرض بشوق الحب وبلهفة الظمآن، فتضع أم أحمد كرسيها على باب المتجر وترقب حبات المطر المتساقطة ترقبها بشوق عاشق وهي تهلل وتسبح، وتحمد الله على الخير وهذه النعمة، وبينما هي تفكر بعظمة الخالق، إذ

وقفت أمام المتجر شاحنة مكشوفة فيها نساء ملثمات يضعن أكياس من النايلون فوق رؤوسهن ليقهن المطر ونزلن من الشاحنة وهن يرتجفن من البرد، وطلبن من أم أحمد علب حلاوة ومربى وتمر.

أم أحمد: ما هذا كل ما طلبتموه من حلو؟.

أحداهن: لأننا نشعر بالبرد والحلو يشعرنا بالدفء.

أم أحمد: نعم.. نعم كلامك صحيح، ولكن لماذا تخرجن في هذا الجو الماطر؟.

أحداهن: خرجنا لنقطف ثمار البرتقال والليمون، لنأخذ نقودا مقابل عملنا هذا، نشتري بها طعاماً لأبنائنا، ونحن نعمل صيفاً تحت الشمس الحارقة وفي الشتاء تحت المطر والبرد.

أم أحمد: تنظر إلى أحداهن.. أنت ما زلتي صغيرة ومن كان في مثل عمرك يجب أن تكون في المدرسة.

الفتاة: أن أبي مريض وأمي تعتني به، وأنا الأكبر في عائلتنا فاضطررت أن أعمل لكي أعيلهم.

أم احمد: وهل الأجر الذي تتقاضيه يكفي نفقات البيت والأولاد؟.

إحداهن: والله ما أنا عارفة ماذا سيكفي، كل شيء ارتفع سعره في الصيف، نفقات الكهرباء تحتاج إلى موازنة، فأنت تعرفين الحر لا نستطيع العيش بدون ماء بارد أو مروحة، بعد أن نعود من العمل في يوم شاق. وفي الشتاء نحتاج إلى المدفئة، فنحتاج إلى المحروقات عدا عن العلاج والطعام واللباس، والأولاد يحتاجون إلى التلفزيون والكمبيوتر، والهاتف النقال أصبح الكل لا يستغني عنه، والذي لا يقتنيها هو أميّ وجاهل ونضطر إلى مضاعفة ساعات العمل، والله الواحدة منا ما عاد في صحة للعمل.

أم احمد: ألا يستطيع صاحب العمل زيادة أجوركن؟.

أحداهن: الله يعينهم.. هم أيضا حالهم مثل حالنا، فالبذور مرتفعة الثمن وعلاج المزروعات وأدوات الزراعة والحراثة والحصاد ورش المبيدات الحشرية، كل ذلك مرتفع الثمن فكل ذلك يؤثر على المردود الاقتصادي للمزارع، ثم تناولت الأغراض وغادرن إلى الشاحنة متوجهات إلى المزرعة.

جلست أم احمد تفكر بهؤلاء النسوة اللواتي يعملن طيلة أيام السنة صيفاً وشتاءاً وإذا مرضت إحداهن ليس لها أجر، وإذا أصيبت في العمل ليس لها تعويض، وفي نهاية الخدمة ليس لها تعويض، لو أن شركة أو جمعية تنظم صفوف العاملين بالزراعة في شركة تامين تقتطع من أجورهن مبلغا بسيطاً كل شهر، فتؤمن لهم تامين نهاية الخدمة وتؤمنهم صحياً وتمنحهم قروض سكنية، أو يكون هناك بنكاً زراعياً مسئول عن منتوجات المزارعين وتسويقها وتوفير القروض لهم، ليت وزارة الزراعة تخطط لمثل هذه الأعمال وتوزع إلى المزارعين نشرات إرشادية لتوجيه وتنمية مواردهم الإنتاجية.

وبينما أم احمد جالسة إذ دخلت عليها المعلمة أم وديع، وهي عائدة من المدرسة تختبئ من المطر.

أم وديع: السلام عليكم يا أم احمد، إن المطر غزير وقد ابتلت ثيابي، سأقف قليلاً حتى يتوقف المطر لأعود إلى البيت.

أم احمد: أهلاً وسهلاً يا أم وديع، اجلسي على الكرسي واقتربي من المدفأة حتى تجف ثيابك. أم وديع: تجلس.. ولكن كانت تظهر على وجهها علامات الكدر والضيق.

أم احمد: ما بك يا أم وديع؟ لست كالمعتاد أراك متضايقة.

أم وديع: والله يا أختي أم احمد دخلت الصف فوجدت وجدان بنت أبو سالم تقف على الطاولة وترمي بأصابع الطباشير على الطالبات، فما أحسست بنفسي إلا وقد ضربتها

كفاً على وجهها، فبكت وهربت إلى بيت أهلها وأخذوها إلى مديرية التربية وقدموا شكوى ضدي.

أم احمد: أنت معلمة وتعرفين أن الضرب ممنوع، فكيف فعلت ذلك؟.

أم وديع: إي والله شيء بيقهر، لم أستطع منع نفسي من ضربها، عندما رأيت صندوق الطباشير قد كسر جميعه.

أم احمد: إن هناك عقاب غير الضرب، لو انك طلبت منها أن لا تأتي إلى المدرسة إلا ومعها صندوق من الطباشير، سيشعر أهلها بخطئها وسيعاقبونها هم وليس أنت.

أم وديع: كف! ماذا سيفعل؟ انه لا ينقص ولا يزيد.

أم احمد: ألا تعلمين أن معلمة قبل عشر سنوات ضربت طالبة في الصف الخامس كف، فارتطم رأسها بالحائط فماتت، أتظنين أن الكف سهل ... أن قوانين وزارة التربية وحتى ديننا الإسلامي منع الضرب وخاصة على الوجه، فالوجه لدى المسلمين مكرم، وأيضاً تعرفين قصة أحفاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين عندما كانوا يجلسون على ظهر الرسول عندما كان يسجد، فلا يضربهم ولا ينهرهم ويبقى ساجداً حتى ينزلون عن ظهره لوحدهم والمعلم الناجح يا أم وديع يضبط الطلبة بوسائل عدة، بالترغيب أو الترهيب، وأنت كمعلمة دورك أن ترغبين الأطفال بالمدرسة، فلا تجعليهم يكرهونها، غداً عندما يكبر وديع ويذهب إلى المدرسة أتحبين أن يضرب من قبل المعلمة؟.

أم وديع: طأطأت رأسها.. لا.

أم أحمد: اطمئني يا أم وديع، ما دام أن الطفلة لم تصب بأذى سأذهب إلى دار أبو سالم وأقنعهم بإسقاط الدعوى وأصلحك أنت وهم.

أم وديع: بارك الله فيك يا أم أحمد، وخرجت عائدة إلى بيتها.

وأغلقت أم أحمد المتجر وعادت إلى البيت وأشعلت المدفأة ثم أعدت طعام الغداء، واجتمعت الأسرة حول المائدة.

نبراس: شكراً يا أمي على صينية الكفتة، كم هي لذيذة!.

أحلام: آه.. لقد أعددت الكفتة لآن نبراس تحبها، أما أنا فأحب الدجاج المشوي، فلماذا لا تشوي لي دجاج؟.

نبراس: ها.. ها.. ها أمي تحبني أكثر منك.

أحلام: تضرب نبراس.. لن آكل.

أم أحمد: تحضن أحلام.. كلي يا حبيبتي اليوم كفتة وغداً إن شاء الله سأشوي لك دجاجاً لذيذاً، فتقدمت وتناولت غدائها.

"عاد أبو أحمد متأخراً فقد كان مدعواً لتناول طعام الغداء عند أحد أصحابه، فوجد المتجر مغلقاً".

أبو أحمد: لماذا لم تفتحي المتجر يا أم أحمد بعد الغداء؟.

أم أحمد: والله أني أشعر بتعب يا أبو أحمد، اذهب وافتحه أنت.

أبو أحمد: يتناول المفاتيح ويذهب إلى المتجر.. يا أحلام ألحقيني بإبريقاً من الشاي.

"بقي أبو أحمد في المتجر حتى آذان المغرب، ثم أغلق المتجر وذهب لأداء صلاة المغرب في الجامع، ثم عاد إلى البيت.

أبو أحمد: اليوم ما في حركة، الناس يجلسون في بيوتهم خوفاً من المطر، لم أبع سوى علبة سجائر وعلبة حلاوة.

أم أحمد: اجلس وارتاح، خير وبركة.

جلسوا جميعاً أمام التلفاز يحضرون برنامج أوبرا "اصنع من طفلك نجماً" فبينما هم مستمعون للبرنامج إذ سمعوا أصوات وصراخ في الشارع، فطل الجميع من البلكونة، فرأوا جارهم أبو وديع ورجلاً آخر يضربون بعضهم البعض بالعصي، فنزل أبو أحمد مسرعاً.

أبو أحمد: ينادي على أم أحمد.. حضّري لنا القهوة سريعاً.

"جلس الجميع في غرفة الضيوف".

أبو أحمد: أنتم رجال وأهل، فعلى ماذا تتشاجرون؟ وأزعجتم الناس.

أبو وديع: إن هذا الشاب هو قريبي "سمير" يدرس في جامعة اليرموك، وهناك مقهى إنترنت يلعبون ويتراهنون، فمنهم من يربح ومنهم من يخسر، وقال لي أنه جيد في اللعب والرهان وأنه دائماً يربح، وقال لي إذا كان لديك مالاً سأزيده لك وأقسم الربح بيني وبينك، فقبلت وأعطيته خمسمائة دينار وذهب إلى اربد ولعب على الكمبيوتر وخسر جميع المبلغ، ألا يحق لي أن أضربه؟، فهذه النقود وفرتها من لقمة أبنائي.

سمير: والله يا عمي يا أبو أحمد لقد قلت له ممكن أراهن وأربح وممكن أخسر، لقد لعبت قبل ذلك عدة مرات وربحت، ولكن هو ليس له حظ، وأنا أبي رجل مريض وهو لا يعرف أنني ألعب الرهان، فأرجوكم لا تقولوا له فإنه سيموت إن عرف بذلك.

أبو أحمد: كف يا ابني عن هذه الألعاب، فالرهان حرام شرعاً وإذا تعلقت بهذه الألعاب وتعودت عليها لن تستطيع تركها، وستكون دائماً محتاجاً للمال فلربما تسرق أو تقتل أو

تهرب مخدرات كي تغطي نفقات اللعب، وستهمل دراستك وتنحرف وتدمر مستقبلك بيدك، فاترك هذه الأمور قبل أن تصبح مدمناً عليها، وأول الطريق أهون من النهاية، فما زلت في البداية والتصحيح ممكن، وأنت يا أبو وديع استغفر ربك وتب إليه واطلب العوض من الله، فليس لك عند سمير شيء، فلم يستفد من النقود هو ولا أنت، ألم تعتبروا من الذين شغّلوا نقودهم في البورصة، أنظر إلى شباب القرية كلهم وضعوا أموالهم التي وفروها كي يتزوجوا بها أو يبنون فيها بيوتاً في البورصة، وها هم الآن يعضون على أصابعهم ندماً، فقد جمعت الحكومة أصحاب المكاتب التي تعمل في البورصة ووضعتهم في السجن، والله أعلم إذا ستحصل منهم الحكومة نقود أم لا، فقد جمعوا نقود الناس فلم يبقى أحد في القرية إلا وقد أعطاهم نقوده، حتى العجائز، وها هم ينتظرون رحمة الله عسى ترجع لهم أموالهم أو جزء منها.

مرت أيام وكل شيء طبيعي، تجلس أم أحمد أمام متجرها وتنتظر رزقها وأهل القرية كل في عمله لا شيء جديد. وذات يوم كانت أم أحمد تجلس في متجرها بقرب المدفأة وأمامها إبريق الشاي، جاءت شاحنة مكشوفة ووقفت أمام المتجر، أنها تلك الشاحنة التي مرت قبل عدة أيام وهي تجمل نسوة ملثمات ويضعن على رؤوسهن أكياس من النايلون لتقيهن المطر، نزلن جميعهن إلى المتجر وأخذن يطلبن ما يحتجنه، هذه تريد علبة طن وتلك بيض وتلك تمر وتلك حلاوة وغيره، نظرت أم أحمد فلم تشاهد تلك الصبية الصغيرة معهن، فسألت:

أم أحمد: أين الصبية السمراء الصغيرة التي أتت معكن في المرة السابقة؟.

إحداهن: تقصدين زينب؟.

أم أحمد: ربما لا أعرف اسمها، ولكنها كانت أصغر واحدة، كانت طفلة لا تتجاوز الرابعة عشر ربيعاً.

المرأة: نعم.. نعم عرفتها هي زينب، الله يشافيها مسكينة.

أم أحمد: ما بها؟ هل هي مريضة.

المرأة: لا، بل سقطت من فوق شجرة البرتقال وانكسر حوضها، وقال الطبيب ربما تخرج بعاهة، ومن المحتمل أن تبقى طيلة عمرها تمشي على كرسي متحرك، هذا إذا وجدت الكرسي المتحرك.

أم أحمد: لم لا تتقدم بطلب لوزارة الشؤون الاجتماعية كي يصرفوا لها راتب؟.

المرأة: لقد تقدمت أمها.. ولكن قالوا لها بأن لها ولد غير متزوج وهو شاب في سن الخامة والعشرين، ولا تسمح القوانين لها أن تتقاضى راتباً ويجب أن يصرف عليها ابنها.

أم أحمد: حقاً.. لم لا يصرف عليها ابنها؟.

المرأة: إن ابنها لا يعمل وعاق لوالديه، وحتى أنه اختفى منذ تسعة أشهر ولا أحد يعرف أين ذهب.

أم أحمد: سنساعد هذه الطفلة وعائلتها، غداً سأدبر لها بعض المعونات من نساء القرية ورجالها، أرجو منك أن تأتي إليّ في مثل هذه الساعة وسأذهب معكن إلى بيتها لإحضار أوراقها الثبوتية وأعطيها لأبو أحمد كي يقدمها لمديرية الشؤون الاجتماعية بعد أن يأخذ وثيقة من المختار تشهد بأن هذه العائلة فقيرة وليس لها معيل.

السيدة: سنأتي غداً يا أم أحمد وبارك الله فيك وكثر الله من أمثالك.

جلست أم أحمد وأخذت تحدث نفسها قائلة: كم كانت ستعاني عائلات مثل هذه العائلة؟ لولا نظرة سيدنا الملك عبد الله الشاملة لكل أفراد شعبه وتفقد رعاياه، وصرف الرواتب والمساعدات للفقراء وكذلك بطاقات التأمين لكل الذين يتقاضون رواتب المعونة، كم هو رحيم ومحب لشعبه، وعندما عاد أبو أحمد من عمله حدثته أم أحمد عن زينب، تلك الطفلة ذات الأربعة عشر ربيعاً.

أبو أحمد: كم أنت حنونة وحساسة يا أم أحمد، افعلي ما ترينه مناسباً وأنا معك وسأساعدك، فقد قال تعالى: " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" من يكره عمل الخير، فعامل الخير يثاب في الدنيا والآخرة.

وفي اليوم التالي حضرت الشاحنة التي تقل النسوة وذهبت معهن أم أحمد، وهناك شاهدت رجلاً مريضاً مغطى بلحاف قذر مرقع وبجانبه زوجته المسكينة ذات الثوب المرقّع، فوضعت أمامها كيساً مليئاً بالمعلبات والطعام وكيساً آخر ملئ بالملابس وأغطية وبطانيات، ففرح الرجل وزوجته وأخذا يلهجان بالدعاء لأم أحمد.

أم أحمد: أين زينب؟.

أم زينب: أنها في المستشفى، وأخذت تبكي.. لقد كانت هي المعيلة الوحيدة لنا.

أم أحمد: إن شاء الله ستشفى، وأن فرج الله قريب، أرجو أن تعطيني أوراقك الثبوتية حتى نقدمها لمديرية الشؤون الاجتماعية كي يصرف لك راتب من المعونة الوطنية، فأحضرت السيدة الأوراق وناولتها لأم أحمد وهي تدعو لها بالخير.

أخذت أم أحمد الأوراق وعادت إلى البيت وهناك ناولتها لأبو أحمد، في اليوم التالي أخذ أبو أحمد الأوراق وقدمها بعد أن أحضر وثيقة من المختار تثبت فقر هذه الأسرة وعدم وجود معيل لهم، فوافقت المديرية على صرف الراتب، وما هي إلا أيام حتى تمت المعاملة واستلمت أم زينب الراتب مع التأمين الصحي، ونقلت زينب من مستشفى معاذ إلى مستشفى الملك عبدالله المؤسس في المفرق، وأجريت لها عملية في الحوض وتحسن وضعها.

وبعد مضي شهر من العلاج الطبيعي مشت زينب، وقامت هي وأمها بزيارة أم أحمد، ففرحت أم أحمد بهذه الزيارة وأقنعت أم أحمد والدة زينب بأن تعود إلى مقاعد الدراسة لتكمل دراستها، وبعد تناول طعام الغداء جميعاً جلسوا في الردهة الواقعة أمام غرفة الضيوف، فنظرت المرأة فرأت صورة الملك عبدالله الثاني تزين الحائط بحجم كبير، فقامت أم زينب إلى الصورة وحضنتها وقبلتها وقالت: الله يسعدك ويطول لنا بعمرك يا حبيب الشعب يا حنون، لقد أعدت الحياة لي ولأسرتي بعد أن يئست، والحمد لله على كل شيء. انتهت الزيارة وعادت زينب ووالدتها إلى البيت، وجلست أم أحمد وهي تشعر بالسرور والسعادة لأنها استطاعت أن تعيد البسمة لهذه السيدة وعائلتها.

مرت عدة أيام وأم أحمد تجلس في متجرها والأيام تمر بشكل طبيعي، مملة لا شيء جديد وذات يوم أتت أم عصام وأم وديع ترافقهما سيدة ثالثة، أنها أسماء رئيسة الجمعية الخيرية، فسلمن على أم أحمد وجلسن أمام المتجر وأخذن يتجاذبن أطراف الحديث.

أسماء: الحقيقة يا أم أحمد لقد سمعت عنك الكثير من نساء القرية وعن حبك لعمل الخير ومساعدة الآخرين وعن أفكارك النيرة، ولاحظت أنك محبوبة لدى معظم أهالي البلدة وحتى القرى المجاورة، ولذلك جئت أطرح عليك أمراً وأرجو أن تقبليه لأنك الأجدر به والأقدر عليه.

أم أحمد: إن شاء الله سأوافق إذا كنت قادرة عليه، فقولي ما هو؟.

أسماء: لقد اجتمعت نساء المنطقة وطرحن اسمك للترشيح للدورة النيابية القادمة إن شاء الله.

أم أحمد: هذا يسعدني ويسرني ويشرفني وأنني إن شاء الله سأكون قادرة على خدمة المنطقة وأهاليها، ولكن أولاً: لي زوج يجب أن أستشيره، وثانياً: أن أحوالنا المادية مستورة وعلى قد حالنا، فلا نستطيع الإنفاق على حملات الدعاية الانتخابية.

أسماء: أما الأمور المادية فمقدور عليها، فقد تبرعت نساء القرية بعمل حملة دعائية على حسابهن، أما زوجك فهذا أمر خاص بك.

ثم قامت أسماء وأم عصام وأم وديع قائلات لأم أحمد، أرجو أن تفكري جيداً، ثم تردين لنا الخبر بعد أسبوع، فرحت أم أحمد بالعرض، وقالت في نفسها نائبة.. أصبح نائبة، أنه شيء جميل، ثم أطرقت قليلاً وقالت: إنه مسئولية كبيرة، هل أقبل؟ أم لا. ثم قالت ولم لا! ومن يستطيع أن يخدم المنطقة أكثر مني، فأنا أعرف ما ينقص منطقتي وأعرف كيف أخدمها، سأقبل. ولم لا أحدث أبو أحمد عندما أعود إلى البيت.

وفي المساء وبعد تناول العشاء، أعدت أم أحمد إبريقاً من الشاي ووضعته على طاولة في البلكونة.

أم أحمد: أرجو أن نجلس لوحدنا في البلكونة، أريد أن أناقشك في موضوع.

أبو أحمد: جلس على كرسي مقابلاً لأم أحمد.. لقد أفزعتني، خيراً إن شاء الله.. تحدثي.

أم أحمد: لقد جاءت إليّ نساء القرية وهن يردن أن يرشحنني للانتخابات النيابية القادمة.

أبو أحمد: بلا هبل، من أين لنا نقود كي ننفق على الحملة الدعائية؟.

أم أحمد: أنا لن أخسر شيئاً، إن رئيسة الجمعية والأعضاء سيقمن بجمع التبرعات وسيقمن أيضاً بالحملة الدعائية، وهن الآن يخططن لكيفية الدعاية، فجن جنون أبو أحمد.

أبو أحمد: بغضب شديد.. عال والله عال ما ناقصك إلا النيابية، أي وظيفة ما سمحت لك تتوظفي، إذا كنت تريدين دمار بيتك وتشتيت أسرتك افعليها، وقلب إبريق الشاي على الأرض.

أم أحمد: لم تشاهد أبو أحمد بهذه العصبية منذ أن تزوجها قبل خمسة وعشرين عاماً.. سأفعلها وأنا جديرة بهذا العمل وقادرة عليه.

أبو أحمد: سأطلقك وسأحرمك من رؤية أبنائك، لا تقولي أن البيت والمتجر باسمي وسأفعل ما أريد، لا.. لا تفرحي، هدئي اللعب وفكري جيداً أن البيت والمتجر باسمك حقاً ولكنني وضعت شرطاً وهو أنك لا تستطيعين التصرف بهما ما زلت حياً والأولاد سآخذهم وأهاجر، ولن تعرفي عنواني.

صمتت أم أحمد ثم قالت في نفسها: لماذا غضب أبو أحمد لهذه الدرجة؟ ظننته سيفرح، ربما غار مني، وجلست تفكر وتفكر وقالت في نفسها: لماذا عندما يترشح الرجل تعمل زوجته ليل نهار كي يفوز؟ وتفرح بفوزه وتتباهى، وعندما تترشح

المرأة يغضب الرجل ويغار ويهددها بالطلاق وتدمير البيت والحرمان من الأولاد، ثم قالت: الأفضل لي أن أحافظ على بيتي وأولادي فليس لهم غيري، أما النيابية فسيأتي يوماً يكون فيه ترشيح المرأة شيء عادي، وستكون منافسة للرجل حتى دون الكوتة، ولكن الأمر يحتاج إلى الصبر فكل شيء سيتغير.

ثم ذهب أبو أحمد وقالت: ظننتك ستفرح، ولكن خيبت أملي، وغداً سأخبر السيدة أسماء رئيسة الجمعية بأن تبحث عن امرأة غيري، ثم جلست ونظرت إلى أبو أحمد فإذا هو مكفهر الوجه ينظر إلى التلفزيون وهو يشعل سيجارة من أخرى وينفث الدخان كأنه مدخنة قطار، وأصبح جو الغرفة خانقاً، قامت أحلام ونبراس إلى غرفتهن وقامت أم أحمد إلى المطبخ وأخذت تنظف الصحون وبعد ذلك نامت.

وفي اليوم التالي ذهبت أم أحمد إلى المتجر وكان الجو بارداً ماطراً، وذهب أبو أحمد إلى لعمله والأولاد إلى المدرسة، جلست أم أحمد قرب الباب ترقب قطرات المطر المتساقطة وتسمع دوي الرعد وهي حزينة ساهمة تفكر بالنساء وحياتهن، ولماذا يسيطر الرجل على طموحهن وآمالهن وحياتهن؟، وإلى متى؟. وأيقظها من تفكيرها صوت طفل يقول: أم أحمد أريد مصاصة وكيساً من البزر، فقامت متثاقلة وناولته ما أراد.

توقف المطر وجاءت إليها أم عصام وبدأن يتسامرون ويتجاذبن أطراف، فجاءت سيدة فارعة الطول حنطية اللون ترتدي جلباباً أخضر اللون ومنديلاً وحذاء وحقيبة بلون زهري، وطلبت من أم أحمد أن تعطيها علبة عصير وعلبة بسكويت، فنظرت أم عصام إلى أم أحمد وغمزتها بعينها فأشارت أم أحمد برأسها أي أنها عرفت أن لهذه السيدة قصة، فأعطت السيدة ما

طلبته وتناولت منها النقود ووضعتها في الدرج، وبعد أن ذهبت السيدة.

أم أحمد: إن لهذه السيدة قصة، أهي مطلقة؟ وما قصة طلاقها؟ هيا تحدثي يا أم عصام ما السبب؟.

أم عصام: لقد أدركني الوقت ولا أستطيع أن أحدثك، قصتها غداً إن شاء الله سأحدثك قصتها، أما الآن فأريد أن أذهب لأحضّر طعام الغداء لزوجي وأولادي.

جلست أم أحمد تفكر وتفكر ما قصة هذه السيدة يا ترى؟، وأي معاناة تعيش.. وبينما هي ساهمة واجمة، إذ دخل رجل يجر طفلاً صغيراً يبكي، والرجل يضربه على قفاه والطفل يزداد صراخاً.

أم أحمد: ما بك تضرب الطفل؟.

الرجل: لا دخل لك، هذا ابني وأنا أربيه.

أم أحمد: نعم هو ابنك ولكن هذه الطريقة لا تربيه بل تزيده شراسة وتعوده على العنف، وغداً عندما تكبر ويكبر لن يحن قلبه عليك، أعطه الحنان صغيراً يعطيك إياه كبيراً وأنت عاجز، فالعنف لا يورث إلا العنف والطفل لديه عقل ناقشه وحدثه وسيستوعب حديثك، ولكن الضرب يجعله يصر على الخطأ.

الرجل: إنك صادقة يا أم أحمد، وأرجو أن تعذريني، فقد كنت قاسياً معك، وأرجو أن تعطيه كرة، أنه يبكي يريد شراء كرة ، أخاف أن يكسر الشبابيك بها.

أم أحمد: دعه يلعب بها خارج البيت وراقبه وعلمه كيف يكون حذراً أثناء اللعب.

"أخذ الرجل ابنه بعد أن اشترى له الكرة ثم ذهب".

جاءت في اليوم التالي أم أحمد إلى متجرها ونظفته ورتبت البضائع فوق الرفوف ثم فتحت التلفزيون وجلست أمامه وهي تشعر بملل وأخذت تغير من قناة إلى قناة، وبينما هي كذلك إذ دخلت عليها أم عصام.

أم عصام: صباح الخير، جئت لأحدثك بقصة السيدة عيشة.

أم أحمد: صحيح.. ما قصتها؟.

أم عصام: هي معلمة لغة إنجليزية وزوجها سائق، كانت ظروفهم المادية سيئة، حيث معظم أيام السنة زوجها لا يجد عملاً فتقدمت بطلب إعارة إلى الأمارات العربية، فحالفها الحظ وقبل طلبها، فسافرت.. وهناك حصلت له على عقد عمل لدى الشركات ولحق بها وعمل هناك بأجر ممتاز، وكان يرسل النقود لأبيه كي يبني له بيتاً، فاشترى والده قطعة أرض وسجلها باسم ابنه وبنى عليها بيتاً جميلاً فخماً وأثثاه بأجمل الأثاث، واشترى شاحنة كبيرة وعندما عاد إلى الأردن، اشترى شاحنة أخرى لأخيه، فطلبت منه زوجته أن يسجل الشاحنة باسمها وليس باسم أخيه أو باسم ابنه الصغير، فرفض الزوج وحقد الأخ على زوجة أخيه التي هي سبب الرزق ورأس المال.

وبدأ يعد لها المكائد الواحدة تلو الأخرى، ويوغر صدر أخيه عليها كأن يقول له "أنها متحكمة بك" أو يقول هو أنت على ماذا تقدر؟، هي صاحبة المال وغيره من كلام، ثم تطور إلى مؤامرة دنيئة حتى سعى إلى تزويجه، حيث زج ابنة الجيران (ميّ) في طريقه، فكلما ذهبت عيشة إلى المدرسة تأتي ابنة الجيران فتعد له الإفطار والشاي وتلمس يده وتذبل له عيناها، فأصبح زوج عيشة مغرماً بابنة الجيران (ميّ) فجلب

لها الهدايا، وذات يوم بعد أن توطدت العلاقة بين عبد الرحيم زوج عيشة وبين مي ابنة الجيران.

قام طه أخ عبدالرحيم بالاتصال بعيشة وطلب منها الحضور فوراً لترى زوجها وابنة الجيران وهما يتناولان طعام الإفطار، وقال لها أنه رأى أخيه عبدالرحيم وهو يناول مي ابنة الجيران خاتماً من الذهب، فجن جنون عيشة وعادت إلى البيت فوراً، فرأت زوجها يجلس مع مي ممسكاً يدها وعيناه تنظران بعيناها ومي تمسك علبة صغيرة بيدها، فما أحس إلا وعيشة تهجم على مي وتأخذ العلبة من يدها وهي تسب وتشتم، فضربها زوجها عبدالرحيم وقال لها: أنت طالق طالق بالثلاثة، وأخذت أبناءها وعادت إلى بيت أهلها لا تملك شيئاً.

تزوج عبد الرحيم من مي وأصبحت سيدة البيت الذي بنى بمال عيشه، واشترى لمي سيارة خصوصي وبدأ يدربها عليها وأول ما فعلته هو أنها أوغرت صدر عبدالرحيم على أخيه طه وجعلته يأخذ السيارة منه ويسجلها باسمها.

أم أحمد ما هذا الظلم كيف يحرمها من تعبها ألا يوجد قانون يعيد لها مالها وبيتها.

أم عصام: أي قانون، لا يوجد باسمها شيء ولو ترينها الآن أنها تسكن في غرفة صغيرة فقيرة هي وأولادها، وهذه الغرفة هي مكان نومها ومطبخها في بيت أخيها المتزوج ومي تسرح في بيت كالقصر بنى بمال عيشة.

أم أحمد: والله ليس عدلاً ولا أنصافاً لأنه الرجل يأخذ كل شيء وهي لا تأخذ شيئا سوى ما يعطيها إياه الشرع من مهر مقدم ومؤخر.

أم عصام: آه لو تعرفين كم مقدمها ومؤخرها، كله لا يساوي ألف دينار، بينما البيت كلفها حوالي خمسين ألفا.

أم أحمد: لو كنت مشرعاً أو نائباً لطلبت أن يكون للمرأة نصيباً في البيت لأنها هي التي تحضن الأولاد فالأسرة للمرأة، ومعها فهي أحق بالبيت من الرجل وإذا أراد الزوج استبدال زوجة بأخرى، فيجب أن يخرج هو من البيت والمرأة تدفع له حصته في البيت.

أم عصام: هذا لو كنت، فلتنتظر النساء حتى تصبحين مشرعة أو نائبة، وضحكت أم عصام وقالت: أسلم عليك لقد حان وقت العودة إلى البيت.

وجلست أم أحمد تفكر وتفكر بوضع السيدة عيشة، وبينما هي ساهمة واجمة إذ دخلت أحلام فرحة مرحة.

أحلام: تقبل أمها.. ستذهب مدرستنا رحلة إلى جرش وعجلون وسأرى قلعة الربض التي أمر ببنائها صلاح الدين الأيوبي الذي حرر الوطن العربي الصليبين.

أم أحمد: متى سيأتي صلاح الدين جديد حتى يحرر فلسطين من الصهاينة المعتدين ويحرر العراق من الأمريكان ويحرر النساء من تسلط الرجال.

أحلام: تحرير النساء من الرجال بسيطة يا أمي المرأة التي زوجها متسلط تخلعه ألم تعطى حقها بأن تطلق الرجل.

أم أحمد: تضحك.. يا أبنتي أن الطلاق أبغض الحلال عند الله حقاً، وهو حلال ومباح.. ولكنه ليس الحل، بل آخر الحلول ومكروه أيضا، لأن الطلاق المتضرر منه ليس الزوج والزوجة بل الأبناء هم الأكثر ضرراً، لأنهم ربما يعيشون مع الأم بعيدا

عن الأب أو مع الأب بعيد عن الأم وزوجته الثانية ما يحطم نفسية الأطفال، وربما يؤدي إلى اتسامهم بالعنف والانحراف.

فالمرأة يا أبنتي ليست ضعيفة وليس الرجل هو الأقوى والأمر هو تباين قوى، ولكن أما أن تكون المرأة حاضنة لأسرتها وتوفر لها السعادة بكثير من التنازلات للرجل والسير تحت خط حياة يرسمها لها، فتكون ناجحة أسرياً وتتخلى عن طموحاتها الفكرية والسياسية والاقتصادية وتحقيق ذاتها وشخصيها فبذلك تحقق السعادة الأسرية، وإن حاولت تحقيق ذاتها وطموحاتها وآمالها وإثبات جدارتها يقف لها الرجل بالمرصاد معارضاً آمراً ناهياً غاضباً محاولاً تحطيم نفسيتها بسلخ الأسرة وتفكيكها إرضاءً لغروره وغيرته، فتخسر المرأة السعادة الأسرية لتحصل على نجاحها في المجالات الأخرى كالفكرية والسياسية إلا ما ندر من الرجال الذين يشجعون طموح المرأة، فمن منحهم الله الثقة بأنفسهم والقدرة على فهم هذا المخلوق المسمى المرأة بأن له عقل وطموح وآمال كما للرجال، فهم قلة من الرجال الذين يعرفون ذلك وكثير من النساء مفكرات وطموحات وقادرات على بناء ذاتهن ألا أنهن يتخلين عن ذلك من أجل التمسك بالأسرة والمحافظة على أبنائهم حتى يعشون في جو أسري صالح.

أحلام: ولم المرأة تضحي معظم الوقت بطموحاتها وآمالها؟.

أم أحمد: ربما لأن الطفل عاش في داخل جسمها مدة تسعة شهور وسرى دمها في دمه ومن لحمها كون لحمه وعظمه، ربما لذلك هي أقرب إليه من أبيه ألم تقرأي حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين سأله الإعرابي من أحق الناس بصحبتي فقال : أمك وكررها ثلاث مرات ثم قال أبيك.

أحلام: حقاً أن الأمهات أجمل شيء بالدنيا وكذلك الآباء، فنحن نحب أن نكون بين الأب والأم ولا نحب أن نخسر أحداً منهم، فهم الماء والطعام لنا ولا نستغني عن أحد منهم، ثم قبلت أمها وحضنتها، ثم قامت وقالت لأمها: سأحضر طعام الغذاء أنا يا أمي كي تبقي مرتاحة.

أم أحمد: بارك الله فيك يا أحلام.

وعاد أبو أحمد ونبراس وأحمد وجلسوا حول الطعام وقالوا لأحلام أنك ماهرة في طهي الأرز وشوربة الخضار يا أحلام.

نبراس: أن الطعام لذيذ ولكن ليس ألذ من الطعام الذي تطهوه أمي.

أبو أحمد: يحتضن أحلام ويقبلها، ثم لاحظ الغيرة في عيون نبراس فقال لها سأقبلك أيضاً.

أم أحمد: ما بالك اليوم نازل قبل.

أبو أحمد: وهل أصابتك الغيرة أنا أقتدي بالرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقوم إلى فاطمة من مجلسه بين الرجال ويحضنها ويقبلها.

أم أحمد: وما المغزى من فعله هذا يا أبو أحمد؟.

أبو أحمد: إذا وجدت الفتاة الحب والحنان والعطف من والديها، فلن تبحث عند الآخرين ولن تجري وراء الحب المحرم وتكتفي بالحب الحلال وبالنور وليس حب الظلمة.

أم أحمد: حقا أن كل فعل يفعله الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو قول يقوله له مغزى ومعنى وطريق حياة حقا أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

مرت أيام وأم أحمد تجلس في متجرها والأيام تمر عادية دون جديد ولم تحضر إليها أم عصام ولا أم وديع، وذات يوم

جلست أم أحمد أمام متجرها وأشعلت المدفأة ووضعت إبريق الشاي فوقها وجلست أم أحمد ترقب حبات قطرات المطر وحبات البرد المتساقطة على واجهة المتجر، وبينما كذلك إذ صوت زامور سيارة الشرطة يملأ المكان فقامت ووقفت على الباب ونظرت إلى السيارة، فرأت شابان في الخامسة عشر من عمره ومعه أبيه في سيارة الشرطة فاستغربت أم أحمد، ماذا فعل هذا الشاب حتى أخذته الشرطة؟ هل سرق؟ هل حصل شجار بينه وبين أحد زملاءه الطلبة؟، ثم جلست وهي تفكر، وبينما هي كذلك دخلت سيدة بدينة ترتدي ثوباً مبرقعاً.

السيدة البدينة: السلام عليكم.

أم أحمد: وعليكم السلام ورحمة الله.

السيدة البدينة: أعطني علبة فول وعلبة حمص وعلبة سردين.

أم أحمد: تحضر طلباتها.

السيدة البدينة: هل أتت سيارة الشرطة يا أم أحمد؟.

أم أحمد: نعم رأيتها.. ولكن من ذلك الشاب الذي أخذته الشرطة؟.

السيدة البدينة: أنه هاني ابن خضر.

أم أحمد: ماذا فعل هذا الشاب أنه ما زال صغيراً؟.

السيدة البدينة: صغير.. الله يخزيه ويصغره ..

أم أحمد: لماذا؟ ماذا فعل؟.

السيدة البدينة: لقد فعل فعلاً يهتز له عرش الرحمن لقد تحرش بطفل في السابعة من عمره جنسياً وفي الصف الأول وهذا الطفل يتيم وفقير، ويقال أن هذا الشاب طلب من الطفل أن

يذهب معه للوادي القريب من المدرسة كي يعطيه نقود وشيبس وحلوى، فتبعه الطفل دون أن يعلم ما يضمر له هذا الشاب، وهناك في الوادي اعتدى عليه جنسياً وعاد الطفل باكياً إلى أمه وأخبرها بما حصل له، فأخذته إلى الطبيب ومن ثم إلى الشرطة وقدمت شكوى بحق هاني ولد خضر وجاءت الشرطة وأخذوه.

أم أحمد: الله أكبر.. ما هذا الجيل؟ ألا يخاف الله! وأهله ألم يعلموه بأن هذا العمل حرام، ويغضب وجه الله؟ ألم يقرؤوا قصة قوم لوط في القران الكريم؟، الذين أنتقم الله منهم لأنهم يأتون الرجال شهوة دون النساء، لقد خسف الله بهم الأرض وأغرق بيوتهم وهذا البحر الميت شاهد على انتقام الله منهم.

السيدة البدينة: يا أختي هذه العائلة نقودهم كثيرة وتاركين أبنائهم دون تربية وكثرة النقود أفسدت الأولاد، حيث لا رقابة على تصرفاتهم، وأيضا أحضر لهم والدهم كمبيوتر وربطه على الإنترنت دون رقابة فرأوا أمورا يجب أن لا يروها.

أم أحمد: وهذا السن سن المراهقة، يكون الشباب فيه في وضع عاطفي شديد وحساس، فيجب توجيه الشباب إلى أمور أو أعمال توجه فيه عواطفهم وقدراتهم إلى الطريق الصحيح.

السيدة البدينة: نعم يا أم أحمد كل شيء جديد يحتاج إلى معرفة ومراقبة فواجب الوالدين والمدرسين توجيه الشباب إلى الطريق الصحيح والخطوط الآمنة على الإنترنت، ثم قالت أسلم عليك يا أم أحمد، ثم حملت أغراضها وذهبت، وعادت أم أحمد وجلست أمام التلفزيون وأخذت تشاهد بعض البرامج دون تركيز وهي في حالة ذهول من فعلة هذا الشاب، وبينما هي كذلك دخل عدة أطفال هذا يطلب شيبس، وذلك يطلب حلوى، وآخر يطلب بسكويت فقامت متثاقلة وأعطت كل واحد طلبه.

ثم جلست أم أحمد وهي تفكر في هذا المخترع الجديد بفوائده ومضاره، وكيف قرب البعيد! وقالت في نفسها: لقد أصبح العالم قرية صغيرة بفضل هذا الكمبيوتر، وبينما هي كذلك إذ دخلت أم عصام.

أم عصام: أسرعي يا أم أحمد إبريق الشاي على النار، أعطني كيس شاي الغزالين الأصلي.

أم أحمد: تناولها الكيس.

وقبل أن تخرج أم عصام من المتجر، دخل الأستاذ طارق وهو ممسك بيد فتاة شقراء الشعر واسعة العينين ترتدي بنطال من الجينز وسترة جلد سوداء، فنظرت أم أحمد على أم عصام وأدركت أنها تريد أن تسألها عن تلك الفتاة، طلب الأستاذ طارق من أم أحمد علبة سجائر وعلبتين بيبسي كولا فناولته أم أحمد ما أراد وخرج.

أم أحمد: تمسك بأم عصام.. من تلك الفتاة التي ترافق الأستاذ طارق؟.

أم عصام: أنا على عجلة من أمري، ولكن سأعود إليك بعد أن أحضّر الشاي وأطفئ الغاز وأحكي لك قصتهما.

ثم ذهبت أم عصام وجلست أم أحمد وهي تفكر من هذه الفتاة وكيف قدمت إلى قريتنا، وبينما هي كذلك دخل ثلاثة أطفال أعمارهم تتراوح بين الثامنة والتاسعة فقالوا: نريد أن نشتري شيبس، فقالت أم أحمد: أعطوني النقود أولاً فناولها الأول والثاني النقود ولكن الثالث قال أنا ليس لدي ولا أريد أن أشتري، فذهبت أم أحمد لتحضر الشيبس، فأخذ الثالث قطعة بسكويت وهرب فأمسكت أم أحمد بالنقود وقالت للطفلين الآخرين لن أعطيكم نقودكم حتى تحضروا الطفل الثالث، فركضوا خلفه

وأحضروه جراً وهو يصرخ، فأمسكت به أم أحمد وقالت خذ قطعة البسكويت أنا لا أريدها ولكن أردت أن أعلمك درساً بأنني لست مغفلة أولاً وبأن السرقة حرام، وأردت أن تعرف أنني أسامحك شريطة أن لا تعيدها مع غيري فتنال جزاءً سيئاً، ثم ناولت كل طفل كيس شيبس، فرفع الطفل رأسه إلى أم أحمد وقال أنا آسف يا أم أحمد لن أعيدها مرة أخرى، ثم ذهبوا وجاءت أم عصام وجلست على كرسي قبالة أم أحمد.

أم عصام: تضرب على ركبتها وتمط شفتاها.. والله يا أختي أم أحمد عشنا وشفنا الناس استغنوا عن الجاهة والفنجان في الخطبة وصار جهاز صغير كأنه صندوق يخطب لهم.

أم أحمد: ماذا تقصدين.. الكمبيوتر.

أم عصام: نعم يا أختي نعم، تلك الفتاة التي كانت مع الأستاذ طارق هي زوجته عرفها من خلال الكمبيوتر، كانوا يحكوا ويروا بعضهم البعض على هذا الذي يقولون له "شوت طشوت" والله ما أنا عارفة ما هو.

أم أحمد: تضحك.. اسمه "تشات.. تشات" يا أم عصام هذا برنامج للتواصل ويتم من خلال التعارف.

أم عصام: يرحم أبوك، عرفها على هذا البرنامج الذي هو قلتي عنه وأخذ عنوانها وراح هو وأهله على عمان وخطبوها وعملوا حفلة في الصالة هناك وأحضرها معه وتزوجها.

أم أحمد: وأين يسكن، في عمان ولاّ في الغور، أنا أعرف بنات عمان لا يقبلن السكن في القرية.

أم عصام: زمان أول حول يا أم أحمد، تتزوج وتسكن في الغور ولا تظل بعمان وتعنّس، في هذه الأيام التي تجد لها عريس تشكر ربها.

أم أحمد: يعني العروس ساكنة عند أهل العريس.

أم عصام: لا يا أم أحمد، الأستاذ طارق بنى بيت مستقل بجانب أهله.

أم أحمد: تعرفي يا أم عصام خطرت بالي قصيدة من الشعر أملاها عليّ هذه الموقف الغريب.

أم عصام: قصيد شعر! صرت شاعرة يا أم احمد، ولأول مرة أعرف أنك تكتبين الشعر.. قولي هيا قولي أريد أن اسمع شعرك يا أم احمد.

أم احمد: تضحك.. سأقول قصيدة على لسان الأستاذ طارق بعنوان" تشات "

شـــعرك شـــلال القصـــب   اللـــي يـــرهج مـــن بعيـــد

عيونـــك يـــا عيـــون ألمهـــا   اللـــي تنظـــر مـــن بصـــيد

أنـــــت هديـــــة ربنـــــا   اللـــي أهـداها لـــي فـــي عيـد

والله لأروح أخطبـــــــــك   مهمـــا مهـــرك علـــي يزيـــد

ريتـــك حظـــي ونصـــيبي   وأبقـــى معـــك دوم ســـعيد

رتلــــي الحـــان حبـــي   يـــا عصـــافير وأعيـــدي

عرفتهـــــا عالـــــتشات   وكانـــت هـــي اللـــي أريـــد

غورانيــــة أو عمانيــــة   هـــذا مـــا يـــنقص أو يزيـــد

بنـــت الأردن هالنشـــميه   والله عنهـــا مـــا أحيـــد

علقتنـــــــــي بهواهـــــــا   وهـــي حبـــي ودم وريـــد

أم عصام: تضرب كفا بكف، عال.. عال يا أم أحمد أنت شاعرة وأنا لا اعرف.. لم يكن طارق هو الوحيد الذي تزوج بهذه الطريقة ألم تسمعي بزواج ليلى معلمة اللغة الانجليزية.

أم احمد: إن شاء الله كمان تزوجت بهذه الطريقة!.

أم عصام: نعم، لقد تزوجت باكستاني مسلم، وقد سافرت معهم إلى أمريكا وأخذت معها أمها وهي جداً سعيدة، وقد سمعت أنها ذهبت هذا العام هي وزوجها وأمها إلى السعودية لتؤدي فريضة الحج.

أم احمد: والله يا ناس هالكمبيوتر جعل العالم قرية صغيرة، وما ظل شيء غريب ولا بعيد.

قامت أم عصام عائدة إلى بيتها وجلست أم احمد وهي تفكر مذهولة في هذا المخترع العجيب الذي وصل إلى القرية، وقالت في نفسها سبحان الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

ومرت أيام وأم أحمد تمارس عملها في المتجر دون جديد، وذات يوم ربيعي مشمس جلست أم أحمد أمام المتجر كي تستمتع بدفيء الشمس وتنظر إلى بيت أم عصام عساها تراها لتناديها كي تسليها، فلا زبائن إلا ما ندر حيث الجميع ذهبوا إلى أعمالهم.

وبينما هي كذلك إذ رأت أناس يركضون باتجاه بيت أم عصام وصوت صراخ وشجار وحجارة تقذف عصي تهوي، فأسرعت أم احمد وأغلقت المتجر وركضت إلى بيت أم عصام وعندما وصلت كان الشجار قد انقضى حيث تدخل رجال الحي وأخذوا كل واحد من المتشاجرين إلى بيته، فدخلت أم أحمد فوجدت أم عصام تبكي وتلطم وجهها وعصام قد شج رأسه

والدم يسيل على وجنتيه، وأخته فريال الممرضة تنظف جرحه وتضمده.

أم أحمد: خيراً.. ماذا حصل يا أم عصام؟.

أم عصام: يا حسرة عليك يا بنتي يا فريال "أجت الحزينة تفرح ما لقت لها مطرح" يا أختي يا أم احمد المفروض تتزوج فريال بعد أسبوع لكن يا فرحة ما تمت.

أم أحمد: ولكن لماذا؟.

أم عصام: كما تعرفين ابنتي فريال مخطوبة لابن عمها زياد وقد استأجرت بيتا وأثثناه وكل شيء جاهز والفرح بعد أسبوع، لكن اليوم عريس الغفلة أتى وهو يهدد بطلاق العروس إن لم تترك عملها كممرضة، وهي كما تعلمين لها خمس سنوات تعمل ممرضة.

أم أحمد: باستغراب .. ولكن لماذا؟ لقد خطبها وهو يعرف أنها ممرضة.

أم عصام: يا ستي يقول بأنه تشاجر مع أحد زملاؤه وعيّره بان خطيبته ممرضة، وغداً عندما يتزوج ستأتي سيارة المستشفى لتأخذها ليلاً من حضنه كي تعمل ليلاً في المستشفى، فجرحت كرامته وجاء كالثور الهائج يهدد ويتوعد، فقال له عصام: أنت تعرف أنها ممرضة وأنها تعمل في المستشفى فترة ليلية وفترة نهارية، وقد قلت لأبي بأنك تحبها، وقال ابن عمها لم أعد أحبها ... لم اعد أحبها سأطلقها فغضب عصام منه وضربه وشج رأسه، وضرب هو أيضاً عصام وشج رأسه، وكما رايتي تجمّع الجيران وفصلوا بينهم وكل واحد ذهب إلى بيته، وبينما هن يتحدثن جاءت سيارة المستشفى وأخذت فريال التي أصرت

على عملها كممرضة ورفضت الرضوخ إلى أوامر ابن عمها وخطيبها.

أم أحمد: قامت وهي تهم بالخروج.. إذا كان لها نصيب سيتم لها الزواج، اتكلي على الله.

أم عصام: لا حول ولا قوة إلا بالله.

خرجت أم أحمد وأم عصام من الباب وسمعن صراخ عند بيت أهل زياد فركضن إلى البيت ودخلن فوجدن أم زياد مغمى عليها، فحملنها إلى السيارة مع زياد وذهبوا بها إلى المستشفى، وهناك استقبلتهم فريال وهي تقول سلامتها زوجة عمي سلامتها، وركضت تنادي الطبيب ففحصها فوجد عندها السكري قد ارتفع، فعالجها وطلب أن تبقى في المستشفى عدة أيام حتى يراقب نسبة السكري عندها، فلاحظت أم أحمد اهتمام فريال بزوجة عمها فقالت أم عصام: رب ضارة نافعة "أنظري إلى زياد وفريال كأنه لم يحصل بينهم شيء هذا اليوم، صدقيني لن تخرج أم زياد من المستشفى إلا وقد رجعت المياه إلى مجاريها، هؤلاء شباب عواطفهم جياشة "كلمة تأخذهم وكلمة تجيبهم" اطمئني وهيا نعود إلى البيت، إن شاء الله سيعود زياد وفريال متصالحون ويبقى موعد زواجهم كما هو.

عادت أم عصام وأم أحمد وبقي زياد مع والدته وفريال في المستشفى وعندما وصلت أم احمد إلى المتجر وجدت أبو أحمد ينتظرها أمام المتجر وهو في غاية الغضب.

أم أحمد: السلام عليكم.

أبو أحمد: الله لا يسلمك، كيف تذهبين دون أن تخبريني؟، ألا يوجد معك هاتف لما لا تتصلي بي؟.

أم أحمد: الحق معك يا أبو أحمد، أنا آسفة لأنني نسيت الهاتف في المتجر عندما أغلقته.

أبو أحمد: ينظر إليها بغضب.. أرجو أن تكون آخر مرة وإياك أن تعيدي هذا التصرف مرة أخرى، نحن ما لنا ومال الناس ومشاكلهم، لماذا تتدخلين بأمورهم؟.

أم أحمد: صامتة لا تتكلم.

أبو أحمد: تكلمي، لماذا لا تتكلمي؟ تريدين أن تقولي هذا عمل خير، هو ما في أحد يعمل خير غيرك أنت! هيا اذهبي إلى البيت وأعدي لي طعام الغداء، أنا جائع.

أم عصام: تنظر إلى أم أحمد نظرة حزن وألم.

أم أحمد: قرأت نظرات أم عصام وأحست أن أم عصام تقول: لماذا "الرجال" يذهبون أينما يشاءون دون إخبارنا نحن النساء ودون الاستئذان منا؟ كم نستأذن نحن منهم! ولم يحق لهم تأنيبنا على الخطأ ولا يحق لنا تأنيبهم؟، ثم طأطأت رأسها وذهبت، أحست أم احمد بجرح عميق في كرامتها إلا أنها لملمت آلامها ودخلت البيت لتعد الطعام لأبو احمد.

وفي اليوم التالي ذهبت أم احمد إلى متجرها وذهب أبو احمد إلى مكان عمله وما أن فتحت الباب حتى دخلت أم عصام.

أم عصام: صباح الخير يا م احمد، والله أنني انتظرت الصباح بفارغ الصبر حتى آتي إليك واعتذر منك عما فعله أبو احمد وكل ذلك كان بسبي.

أم احمد: ولا يهمك يا أم عصام الجار للجار والنبي عليه السلام وصى بسابع جار، وما في امرأة إلا وتتشاجر مع زوجها وما في أسهل من إرجاع المياه إلى مجاريها بين الزوج

والزوجة، لقد نسينا كل ما حصل بيننا البارحة ولكن طمأنني على فريال وزياد، ماذا حصل بعد إن عدنا؟.

أم عصام: ضحكت ... الحمد لله لقد تصالحوا في لمستشفى وموعد العرس ما هو وعاد واعتذر مني ومن عصام وقبل راسي وقال: لقد عرفت قيمة فريال وقيمة عملها بعد أن مرضت أمي ورأيت ما تبذله الممرضات من تعب ومعاناة من اجل إسعاد المرضى وشفائهم، وألان انا مرتاحة يا أم احمد، والله لو تركها لا اعلم ماذا سيحصل لابنتي لأنها تحب ابن عمها حبا شديدا ولكنها تسامت على ألامها وحبها وأثرت عملها حتى أقنعته بأهمية هذا العمل للناس.

أم احمد: تسمع صوت سيارتهم تقف أمام المتجر، إنها سيارة أبو احمد خيرا إن شاء الله ما الذي أعاد به سريعا لم يمض ساعة على خروجه ربما نسي مفاتيحه، خرجت مسرعة خيراً إن شاء الله يا أبو احمد هل نسيت شيئا؟ هل أنت متعب؟.

أبو احمد: لم يتكلم، وهو عابس الوجه وجلس على كرسي أمام المتجر، وألقى بورقة إلى أم احمد.

أبو أحمد: تريدين أن تعرفي ما بي؟ أقراي هذه الورقة.

أم احمد: تفتح الورقة وتقراها، تقاعد أحالوك على التقاعد**!**.

أبو احمد: نعم .. ولكنني بلغت الستين وكل من يبلغ الستين يحال على التقاعد.

أم عصام: وماذا ستفعل بعد التقاعد؟.

أبو احمد: سأستأجر محلاً تجارياً بالشونة، فهي قريبة من قريتنا وهناك حركة لتجارة أفضل من هنا سأنقل المتجر إلى هناك واعمل أنا فيه، وسترتاح أم أحمد لقد تعبت معي كثيراً ستتفرغ لبيتها وأولادها.

أم احمد: هل تسمح لي أن أستغل هذا المخزن يا أبو احمد؟.
أبو احمد: وماذا ستفعلين؟.
أم احمد: سأعمله مكان لتجمع نساء القرية لمناقشة مشاكلها وحلها وكذلك ندرب النساء الغير عاملات والمتقاعدات على بعض المهن اليدوية.
أبو أحمد: ينظر أبو احمد إلى أم احمد نظرة دهشة واستغراب، هل تجيدين المهن اليدوية؟.
أم احمد: نعم إنني أجيد التطريز وحياكة الصوف وعمل القش.
أبو احمد: لا يوجد عندي مانع.
أم احمد: تفرح.. هيا يا أم عصام دورك نشر الخبر، سنجتمع كل يوم مدة ثلاث ساعات منذ الساعة الثامنة والنصف حتى الحادية عشرة والنصف، فهذا الوقت سيكون فيه الرجال في أعمالهم والأولاد في المدارس اعتباراً من بداية الشهر الجديد وما ننتجه يسوقه أبو أحمد في متجره الجديد في الشونة، هل توافق يا أبو أحمد؟.
أبو احمد: فكرة لا بأس بها، سأسوق لكن ما تنتجيه إن شاء الله.

وبعد أن أنهى أبو أحمد معاملة التقاعد استأجر محلاً تجارياً في الشونة ونقل البضائع إليه وتفرغت أم أحمد لبيتها والجمعية، وتدريب النساء على أعمال التطريز والقش وبدأت الإنتاج ووضعه أبو احمد في المحل التجاري الذي افتتحه في الشونة.
أرسلت أم أحمد للنساء لعمل اجتماع طارئ لمساعدة أهل غزة وذلك يوم ٢٠٠٨/١٢/٢٨م، فحضرن النسوة إلى مقر الجمعية، وباشرن التبرع لأهل غزة فمنهن من تبرعت بخاتمها

وأساورها أو ثوبها، ومنهن من تبرعن بالحصالة التي وفرت فيها جزءا من المال للطوارئ، فجمعت أم احمد المال ووضعته في صندوق أغلقته حتى ترسله إلى الجامع حتى يرسل إلى غزة، وذهب قسم من النساء اللواتي ليس لديهن مال إلى المستشفى ليتبرعن بالدم، وبينما أم أحمد تتأهب لإرسال الصندوق إذ رن هاتفها النقال يحمل إليها نبأ استشهاد أختها وثلاثة من أبنائها في غزة.

*****

***

*